بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة :

رب اليراع والرقيم والحمد لله رب العالمين وبه نستعين، حمداً يبلغ غاية رضاه ، ويعجز الكل عن أدراك كهنة ومراه والصلاة والسلام على هادئ الأدباء ومعلم الفصحاء والبلغاء محمد (ﷺ) رسول الله خاتم الأنبياء وعلى أله المطهرين النجباء ، كما سأل مراد طرس وأشرقت على بن الغبراء شمس بعد .

كما تعلم إن أهم العلوم على مدار الزمان باعتراف علماء أهل العمل والأديان هو ذلك العلم الذي يسعى إلى اكتشاف هذا الكون وفهمه وتفسيره ومن ثم تسخيره في سبيل سعادة الإنسانية وخيرها.

والسير بها إلى مدراج الكمال وإن كل ما عدا ذلك وانحرف هذا الهدف من العلوم أنا هو سفسطة ومضيعة للوقت.

ومجلبة للزهو والعجب بل هو حجر عثره في طريق تقدم بني البشر وسعادتهم ورقيهم ورأس العلوم ما يوصل إلى معرفة خالق هذا الكون عن طريق تعلم القران الكريم وفهمه لأنه كتاب الله المعجز الذي يدل على مبدعة ويوقف المرء على نواهيه وأوامره إن هذا العلم هو علم البلاغة التي تبدأ بمعرفة البلاغة الفصاحة أو معرفة اللغة والتبحر فيها إذا هي لغة القرآن ووعاء الفكر ومن ثم معرفة الأساليب التي يعبر بها أصحاب هذه اللغة عن أفكارهم وما تنطوي عليه صدورهم ولا شك إن الفصاحة والبلاغة في نظرنا وفي نظر الكثيرين هي أولى العلوم بالتعليم وأحقها بالتخطيط والتحفيظ إذا يجوز إلا خلال بها ما دام الهدف الذي تسعى اليه هو غاية من الغايات فليس بعد معرفة الله سبحانه وتعالى حكمة .

كما إن البلاغة والفصاحة فضائل أخرى مشهورة ومناقب لا تخفى معروفة ومنها زكر أبو هلال العسكري إن من يتقنها لا يمكنه التفريق بين خير ورديئة أو حسن اللفظ وقبحه فيظهر بذلك جهله فإذا أراد أن ينشئ قصيدة أو رسالة وقد فاته هذا العلم مزج الصفو بالكدر واستعمل الوحشي العكر

فجعل نفسه مهزأةللجاهل وا ٍذا أراد تصنيف كلام منثور وتخطي هذا العلم ساء اختياره له فأخذالرديء وترك الجيد المقبول وقد قيل (اختيار الرجل وافد عقله) .

أهداف البحث ومنهجه :

من أهم أهداف هذا المبحث :

1. تمكين الدراسين من توظيف علوم البلاغة في الدراسة اللغوية والفنية وفي الأعمال الأدبية والنص القرآني والحديث الشريف .
2. تنمية التذوق الجمالي من خلال الاطلاع على أرفع النصوص النثرية.
3. وقوف الباحث على مناهج البحث البلاغي الحديث وقد أنبعث المنهج التحليلي الوصفي اعتمادا على المصادر والمراجع رغم صعوبة الحصول عليها وما تحصلت عليه من معلومات في هذا المبحث ليس أكثر من مدخل إلى البلاغة لسهاماً من متواضعاً في خدمة المتهمين بهذا الموضوع ولا داعي أن هذا العمل (برئ من العيوب والمأخذ ولكني لم أدخر جهداً في تهذيبه وتنقيحه) .

والله المستعان في القول والعمل

أهمية البحث :

تتلخص أهمية البحث في رفع مكانة اللغة العربية والعلوم لأن العلوم أرفع المطالب وأنفع المارب وعلم البلاغة من بينهما أجلها شأناً وأبينها تبياناً – إذا هو الكفيل بإيضاح حقائق التنزيل – وا إفصاح دقائق التأويل وا إظهار دلائل الإعجاز ورفع حالة الإيجاز.

الفصل الأول

(أولية الدرس البلاغي)

المبحثالأول:

- **(مفهوم البلاغة لغةواصطلاحاً) .**

المبحث الأول

(مفهوم البلاغة عند العرب)

البلاغة لغة لها عدة معاني كلها تنشق عن الظهور والإبانة فيقال:

1. فصح اللبن وأفصح إذا أخذت عنه الرغوة قال تصله السلمي وتحت اللبن الفصيح.
2. أفصح الصبح برأ ضواءه ، ومنه المثل أفصح الصبح لذى عينين .
3. يوم مصحصح وفصح لا غيم فيه .

أفصح الأعجمي بالعربية ، وفصح لسانه بها إذا خلصت لغته من الكنة فالبلاغة لغة تنبي عن الوصول والانتهاءيقال بلغت الغابة إذا انتهيتأبيها ومبلغ الشيء منيتها ورجل بليغ وبلغ حسن الكلام بالضم بلاغه صار بليغاً وتبالغ في كلامه تعاطي البلاغة وما هو يبلغ وتبالغ به الفرح والحزن : تناهى[1] .

يقال أيضاً بلغ الصبي (بلوغاً) من باب قعد أحتلم وأدرك أما الأصل (بلغ الحلم) وقال ابن القطاع ، بلغ بلاغاً فهو بالغ والجارية (بالغ) أيضاً بغيرها قال بن الأنباري : قالوا جارية (بالغ) وصل وبلغت الثمار أدركت ونضجت وقولهم (لزم ذلك بالغاً ما بلغ منصوب عن الحال أي مرتقياإلى أعلى نهاية من قولهم بلغت المنزل إذا وصلته وبذلت الجهد في تتبعه والبلغة في ما يبلغ بعد من العيش و لا يفضل يقال تبلغ به إذا أكتفى به إذا وتجزأ وفي هذا بلاغ وبلغة وتبليغ أما أبلغه السلام وبلغه بألف والتشديد أوصله وبلغ بالضم بلاغة فهو بليغ ، إذا كان فصيحاً طلق اللسان[2].

فالبلاغة والبيان هو (لسنٍ لقن ، لحن فصيح – طلق ويقال لا يطاق لسانه ولايقاوم بيانه ولاينزف بحره ولا يدرك عوزه ولا يحلق شؤ ه أي عزب الكلام طيب الخطاب حلو)[3] .

المحاورة قويم القول زلف المنطق بحره زاخر ونهره رافق.

1/ من كتاب علوم البلاغة للمراغي.
2/ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للراقي دار المعارف ص 61 مادة بلغ .
3/ جواهر الألفاظ باب رقم 208 ص 312 (المكتبة العلمية) قدامه بن جعفر .

لا يقع بتدفق ولا يتشرق ويقال كلام ولسانه حسام ولا يطاق ولا يدام لسانه فصيح طلق قد لفت الصواب ولقي فصل الخطاب وزلت له سبل البلاغة ومذاهب الخطابة وسخرت له وجوه الخطابة وهو أيضاً كلام بين المناهج سهل المخارج والمبادئ حسب الاتفاق متفق القرائي ووارده تابع لصادر ه بمثله تشمل القلوب النافرة والنفوس المتنكرة يقال ايضاً بلغ الشجر بلوغاً حان أدراك ثمرة – الأفلام بلغ الحلم والأمر وصل إلى غايته – الشيء وصل إليه بلغ الشيب في رأسه ظهر وهو ما يتوصل به إلى الغابة وبيان يذاع في رأسه ونحوها. (البلاغة) حسب البيان وقوة التأثير أما البلغة ما يكفي لسد الحاجة ولا يفضل عنها أما البلوغ نضج الوظائف التناسلية والمبلغ المنتهي يقال بلغ مبلغ فلان مبلغ الرجال والمقدار من المال أما البلاغة اصطلاحا فالبلغاء في **ذلك فريقان**

المتقدمون كالإمام عبد القادر الجرجاني ومن لف لفه وهؤلاء يرون إن الفصاحة عبد القادر الجرجاوي ومن لف لفه وهؤلاء يرون إن الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة وألفاظ مترادفة لا تقف بها المفردات لإنما يوصف بها الكلام بعد توخي معاني النحو فيما يبين الكم والكيف بحسب الأغراض التي يصاع بها.

لإلى ذلك أشار إلى دلائل الإعجاز في مواضيع عدة منها قوله: (فصل في تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة وكل ما شكل ذلك مما يعبر عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلمو اواخبرو ا ولا معنى لهذه العبارات غير وصف الكلام بحسب الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة) .

قال أبو هلال العسكري في الصناعتين: (الفصاحة والبلاغة ترجعان إلىمعنى واحد لإن اختلف أصلاهما، لأن كل واحد منهما أنما هو الإبانة على المعنى والإزهار له).

وقال الفخر الرازي في نهاية الإيجاز وأكثر البلغاء ولا يكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونها استعمال الشيئين المترادفين على معنى واحد في تسوية الحكم بينهما ويشهد لذلك قول الجوهري في الصحاح [1] .

الفصاحة : البلاغة :

وعلى هذا الرأي النظم والكلام دون الألفاظ المجردة والكلمات المفردة ، أما المتأخرون كأبي يعقوب يوسف السَّكَّاكي و ابن الأثير يرون إخراج الفصاحة من كنف البلاغة ويجعلونا أسماء لما كان ينجوه من تنافر الحروف وغرابه الألفاظ ومخالفة القياس ويجعلون البلاغة أسماً لما طابق مقتضى الحال مع الفصاحة .

وعلى هذا فالبلاغة كل والفصاحةجزءاً وهي من صفات المفرد والمركب فقد أشار إلى ذلك صاحب المناعتين حيث قال:(الفصاحة تمام اله البيان فهي مقصورة على اللفظ لأن الآلة تتعلق باللفظ والبلاغة هي إناء المعنى القلب)[2].

بلغ العرب في الجاهلية مرتبة رفيعة في البلاغة والبيان وقد صور الذكر الحكيم ذلك في كثير من المواضيع .. كقوله تعالى:خ (م خ ط ل (1) ق ر آ ع (2) م س ان ا (3) ب ي ان) (4))[3].

كما صور شده معارضتهم وحججهم ومن أكبر الدلائل على حسب بيانه إن رسول من الله عليه وسلم قد دعاهم إلى معارضه القرآن في بلاغته وهذه دلالة على فصاحتهم وبلاغتهم . ويروي إن الوليد بن المغيرة أحد خصول الرسول (ﷺ)الآراء استمع إلى بعض أي القرآن وقال : (والله قد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلامه الإنسل ولا من كلام الجن وأنه لحلاوة وأنه عليه لطلاو ة . إنأعلاه ولمثمر وإن أسفله لمفرق ويرو ى أن رسول الله (ﷺ) أستمع إلى بعض خطائهم وقال إن من البيان لسحر ، وفي أدبهم الذي خلفوه ما يصور فصاحة منطقهم وبلغائهم من الخطباء

[1]/ المعجم الوجين (ط1) دار التحرير للطباعة والنشر ص 61 لإبراهيم مذكور .
[2]/ علوم البلاغة للقراني ، 55 (13) .
[3]/ سوره الرحمن الآيات (1،2،3) .

والشعراء لم يونوا يجعلون كل ما يرد علي خواطرهم ما يزالون يفتخرون ويجدون حتى يظفروا بأعمال جيرة وهي أعمال كانوا يجلبون فيها الفكرة ويعاودون النظر متكلفين جهوداً شاقة في التماس المعنى المعيب تارة والتماس اللفظ المتخير تارة وقد وقف الجاحظ في بيانه مراراً ينوه بما كان يرسلونه من كلام في أحكام اللفظ وقال إن من الشعراء من كلام في أحكام اللفظ وقال أن من الشعراء من كان يدع القصيدة تكمت عنده حولاوكان يسمونه تلك القصائد بأصوليات أو المحكمات وقد لقبوا شعرائهم القاباً تدل على مدى إحسانهم في رايهم مثل : (المهلهل والمقرقش والنابغة وكان هنالك ذوق عام دفع الشعراء ومن ورائهم الخطباء إلى كلامهم وتجويده ولقد عملت أسواقهم الكبيرة على نشأة هذا الذوق وخاصة سوق عكاظ) [1] .

وكانت لقريش في هذا السوق محكماً لا يرد ففي أخبار النابغة الزبياني إن الشعراء الناشئين كانوا يتحكمون فيها إليه فمن نوه به طارت شهرته في الآفاق ويقال أنه فضل الأعشى على حسان بن ثابت وفضل الخنساء على بنات جنسها وثار حسان عليه ، وقال له أنا والله أشعر منك ومنها . فقال له النابغة حيث تقول ماذا قال لنا الجفان الفر يلمعن بالضحى .

و ِ أ ِ سياف ُ نايِ ِقط ُ ِرن ِ م ِنن ِوجِل ِ ِةنايِ ِنيللعا ِ***تقـــاء ِو ِ ا ِبنيم ُح ِ ـــــرق ٍ

فِ ِنا ِأخالاكر ِم ِ أ ِ كر ِما ِابِتِ ِا

فقال له النابغة: (إنك لشاعر لولا أنك قللت عدد جفانك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدت فقال حسان منكسراً وفي تعليقات النابغة وملاحظاته ما يدل على إن شعراء الجاهلية كان يراجع بعضهم بعضا وكانوا يبررون في ثنايا مراجعاتهم بعض الآراء في المعاني والألفاظ فالشعراء في العصر الجاهلي كانوا يقضون عند اختيار الألفاظ والمعاني والصور .

[1]/ من كتاب البلاغة تطور وتاريخ دكتور شوقي ص 9 .

وكانوا يسوقون أحياناً ملاحظات لا ريب في أنها أصل الملاحظات البيانية في بلاغتنا العربية وكذلك زاخرة بالتشبيهات والاستعارات وألوان من المقابلات والجنسيات مما يدل على أنهم كانوا يعنون عناية واسعة بإحسان الكلام والتفنن في المعارضة البليغة.

وفي صدر الإسلام أي بعد ظهور القرآن الكرمي بفضل ما نهج من طرف الفصاحة والبلاغة وكانت آياته تتلى في إناء الليل وأطراف النهار أما الرسول (ﷺ) فأنت حديثه يذيع على كل لسان وكانت خطبه ملء الصدور والقلوب وفيه يقول الجاحظ : (أنه لم ينطق إلا عن ميزان حكمة ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام مع أستفناه عن أعادته وقلة حاجة السامع إلى معاودته).

وقله حاجة السامع إلى معاودته ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم وأنفع ولا أقصر لفظاً ولا أعدل وزناً ولا أجمل مذهباً ولا أكرم مطلباً ولا أحسن موقعاً ولا أسهل مخرجاً ولا أفصح معنى ولا أبين من فحوى كلامه "صلى الله عليه وسلم" كان القرآن الكريم ينزل على الرسول (ﷺ)ويقرأه على صحابته ويوضح لهم أحكامه وكانوا يفهمون أكثر معانيه .

لأنه نزل بلغتهم وسلك سبيلهم في التعبير إذا خفى عليهم شيءمنه كان النبي (ﷺ) يبينه لهم مصدقاً لقوله تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون)[1]، ولما كان القرآن الكريم أرفع أنماط البلاغة دون استثناء فقد تعرض الرسول (ﷺ) في تفسيره إياه لتوضيح كثير من تشبيهاته وكتاباته وذلك من البلاغة العلمية في الصميم [2] .

---

[1]/ سوره النحل الآية (44) .
[2]/ خطوات التفسير القرآني .

جاء في صحيح البخاري عن (عدي بن حاتم) قال قلت يا رسول الله (ما الخيط الأبيض من الأسود أهما الخيطان ؟ قال إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين ثم قاللا بل هما سواد الليل وبياض النهار)[1] .

وفي صحيح البخاري أيضاً عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الآية (الذين أمنوا ولم يلبسوا أيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) [2] .

شق ذلك على أصحاب الرسول (ﷺ) أنه ليس بذلك ألا نسمع إلى قول لقمان لابنه (إن الشرك لظلم عظيم) [3] .

وتفسير الظلم بأنه الشرك على سبيل المجاز وروي عن النبي (ﷺ) في كتب الحديث التي تتعلق بتفسير القرآن وبعضها ليخص في ذكر فائله وتفسير بعض آيالة تفسيراً مختصراً يبين وجه التشيع أو المو عظة في الآية.

رؤ ى عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) أنه قال:(يأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة)وفي هذا الحديث نجد إن جانب الكناية بارز وكذلك بعض صور المجاز.

أما أوجه البيان في تفسير الرسول (ﷺ) **تمثلت في الآتي:**

أولاً: بيان المجمل من القرآن الكريم وتوضيح المشكل وتخصيص العام وتغيير المطلق وذلك حسبما يقتضيالمقام وقد مرت الإشارات إلى ذلك في أمثال الخيط الأبيض والأسود وتفسيراً الظلم بالشرك

ثانيـاً : بيان معنى لفظ أو متعلقة كبيان المغضوب عليهم باليهود .. الضالين بالنصارى وكبيان (أزواج مطهره) [4] .

---

[1]/ الأنعام الآية (82) .
[2]/ سوره لقمـان الآية (13) .
[3]/ سوره البقرة الآية (25)
[4]/ سوره النســاء الآية (29) .

ثالثاً : بيان أحكام زائره على ما جاء في القرآن الكريم كتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها ، وصدقة الفطر ورجم الزاني المحصن وميراث الجدة .

رابعـاً : بيان النسخ كان يبين الرسول (ﷺ) إن ايه كذا نسخت بكذا أو أن حكم كذا ونسخ بكذا.

خامساً : بيان التأكيد أي تأكيد الحكم وتقويته كما في قوله عليه الصلاة والسلام (لا يحل مال أمرئ مسلم الا بطيب نفس منه فإنه جاء تفسيراً لقوله تعالى (لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ)[1]

لقد بدأ أصحاب رسول الله (ﷺ) يترسمون خطاه في التفسير ويحفظون ما نقل عنه وقد يزيدون بحزن شديد في شرح لفظ غريب أو بيان حكمة أو موعظة ونشأت طبقة القراء في صدر الإسلام تحفظ القران وتلم لبعض التفسير .. وكان الرسول عليه السلام يبعث بها إلى القبائل يعلمهم القرآن ويفقههم في معانيه ومع تحرج بعض الصحابة في خوض غمار التفسير من لا تحرج منهم فأننا لا نعدم أثار بعض الصحابة .

وقد يقال أن الصحابة وهم أهل الحجاز وأصحاب اللغة التي نزل بها القرآن الكريم لم يفهموا بعض الغريب في آيات الله ومع ذلك ما أخرجه أبو عبيدة في فضائل عن إبراهيم التيمي أن أبابكر الصديق (رضى الله عنه) سئل عن قوله تعالى في سوره عبس وفاكهه وأباً (فقال أي سماء تظلني وأي أرضي تقلني وأنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم) ونقل أن عمرو بن الخطاب قرا علي المنبر هذه فاكهة (أبا) الفاكهة قد عرفنا فما الأب .

ثم رجع إلى نفسه وقال : أن هذا لهو الكلف يا عمر [2]والصحابة الذين لم يخرجوا من غوص غمار التفسير قاموا بمهمة بيان ما خفي من القرآن الكريم على السائلين وما الداخلين في الإسلام أقترا برسول الله (ﷺ) .

[1]/ الاتفاق في علوم القرآن جلال الدين السيوطي ص 195 .
[2]/ البلاغة عند المفسرين ، حتى نهاية القرن الرابع الهجري (رابح دروب) دار الفجر للنشر والتوزيع ص 17 الطبعة الثانية .

ومن الصحابة الذين قاموا بتفسير البلاغة ابن عباس كان عبد الله بن عباس ترجمان القرآن ،واستجابة لدعاء الرسول (ﷺ) وكان له بصر نافر في فهم القرآن الكريم مما جعل له مكانه بين شيوخ الصحابة فهمه وعلمه بالقرآن الكريم .. روي البخاري عن أبن عباس رضي الله عنه قال كان عمر يدخلني مع اشباح بدر ، فكان بعضهم وجد نفسه فقال : لم تدخل هذا معنا ، ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمرو إنه من حيث علمتم فدعاني ذات يوم وأدخلني معهم ، فما رأيت أنه دعاني يؤكد يومئذ إلا لديهم فقال : ما تقولون في قول الله تعالى (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) [1]، فقال بعضهم : أمرنا نحمد اله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً فقال لي كذلك نقول يا ابن عباس ؟ فقلت لا. قال فما تقول ؟ فقال قلت هو أجل رسول الله (ﷺ)أعلمه له (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) فذلك علامة أجلك (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) [2].

فقال عمرو ما أعلم منها الا ما تقول [3]ففهم أبن عباس من السورة ما لم يفهمه كثير من شيوخ الصحابة وها يدل على عظيم مكانتيه في فهم القرآن الكريم وتأويله ولقد كان سبق وفاته التسعة الكبار من الصحابة المشهورين بالتفسير وامتداد حياه بن عباس إلى عمر التابعين واختلاطه بالكثيّرين ورحيلهم من البلاد الإسلامية كثير ودونت معظم أرائه في كتب التفسير وكان ابن عباس لا يقتصر في تفسيره على المأثور والاخبار بل كان يضيف إلى ذلك عنصر لغوياً في فهم معنى المفرد أو فهم سير التركيب ويشهد على ذلك بالشعر الجاهلي ونقل عنه (إذا تعاجم شيء من القرآن فأنظروا في الشعر .. فإن الشعر عربي) [4] .

نجد أن بن عباس استشهد في تفسيره لكل كلمة بيت من الشعر دليل واضح على الاتجاه اللغوي والحسي البلاغي الراقي في تفسيره بجانب روايته للمأثور ،إن في تفسير بن عباس الدرس البلاغي والاشارات التطبيقية في مجال البيان ، وقد كانت أساسياً للنهج البلاغي الذي جاء بعد ذلك في التفسير وتأويله لسوره النصر السابقة في قبيل الكناية ..

---

[1]/ سوره النصر الآية 1 .
[2]/ الأتمان في علوم القرآن ص 187 جلال الدين السيوطي .
[3]/ المصدر نفسه ص 183 .
[4]/ المصدر نفسه ص 183 .

لان مجيء النصر والفتح يدل على انتهاء الرسالة وتحقيق غاياتها ولئن فات بن عباس إن ينطق بلفظ الكناية فما فات مدلولها الصريح [1] .

أثر مدرسة بن عباس لقد سار على نهج بن عباس كثير من التابعين وتخرج على يديه كثير من المفسرين أمقال سعيد بن جبير ومجاهد وطاووس بن كسيان وعكرمة وعطاء بن ابي رباح وغيرهم كثير وكل هؤلاء في مكة حيث كان يجلس بن عباس يفسر لهم كتاب الله ويوضح لهم ما خفي .

من معانيه وكان تلاميذه يعون عنه ما يقول ثم يروون عنه ما سمعوا منه . وفي المدينة قامت مدرسة متأثرة بأبن عباس وكان أستاذها أبي كعب ومدرسة ثالثة في العراق وكان عمادها عبد الله بن مسعود .

أما مكة فكانت المركز الرئيسي لابن عباس صاحب الدور الهام وذلك لموقعها ومكانتها الدينية:

حيث ملتقى الحجيج من جميع الأقطار الإسلامية يأتون اليها من كل فج عميق قال الامام أحمد تميمة (أما التفسير فأعلم به أهل مكة . لانهم أصحاب بن عباس كمجاهر وعطاء بن ابي رباح وعكرمة مولى ابن عباس وغيرهم من أصحاب بن عباس وطاؤوس وأبي الشنعاء وسعيد بن جبير وأمثالهم نجد أثر بن عباس واضحاً و استمرت طريقته في الرجوع إلى الشعر العربي للتعرف على الغريب من ألفاظ القرآن الكريم والاعتماد على الكتابة والتمثيل والتشبيه والمجاز تلميحاً لا تصريحاً ومعنى لا شكلاً) .

وظل تلاميذه ينقلون هذا المنهج إلى عهد التابعين ومن يليهم وظل ذلك المنهج سائباً إلى أن الحديث خصومه بين المتورعين والفقهاء وأهل اللغة فأنكروا عليهم هذه الطريقة وقالوا إن فعلتهم ذلك جعلتهم الشعر أصلاً للقرآن وكيف يجوز أن يخرج بالشعر على القرآن وهو مزعوم في القرآن والحديث الشريف والق إن هذه الخصومة التي انبعثت في الأجيال المتأخرة لا تقوم على أساس فني لا على قاعدة علمية شديدة فالأمر ليس كما زعم أصحاب هذا الرأي من جعل الشعر اصلاً

[1]/ المصدر نفسه ص 120

القران بل هو في الواقع بيان للحرف الغريب من القران بالشعر لان الله تعالى يقول:أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[1] .

ولهذا لم يتخرج المفسرون إلى يومنا هذا من الرجوع إلى الشعر العربي للاستشهاد به علي ما تعاجم عنهم في القرآن .

وهكذا نجد التابعين يسلكون منهج الرسول (ﷺ) ومنهج الصحابة رضوان الله عليهم في التفسير إذا يركزون على الجوانب اللغوية لتوضيح ما دوق وخفي من الآيات الكريمات فأسهموا بذلك في الكشف عن أسرار البلاغة في القرآن.

في العصر الأموي نجد تطوراً ملحوظاً في مفهوم البلاغة وذلك عندما أعجب معاوية بن أبي سفيان بفصاحة صحار بن عياش العبدي فقال له : (ما هذه البلاغة التي فيكم) قال صحار شيء تجيش به صدورنا فيدمه على السنتا فقال له معاوية ما تقدمون البلاغة فيكم قال الايجاز قال له معاوية وما الايجار قال صحار : أن تجيب فلا تبطئ تقول فلا تخطئ .

فمن خلال هذه القصة نلاحظ فعلاً بداية تبلور مفهوم البلاغة بل أن صحارا نطق بالمعنى الاصطلاحي للكلمة قبل غيره وقد تخص معاني في كلمة جامعه وهي الايجاز وهذا التعريف ما زال معتمداً إلى يومنا هذا وفي ذلك دلالة واضحة عل نفح التفكير البلاغي عند العربي الأموي وعمق فهمه وشده ارتباطه بلفتة [2]وقد بلغ خطباء الوعظ غاية في روعة البيان أمثال (الحسن البصري ووصل بن عطاء) وقد كثرت الملاحظات البيانية في هذا العصر .

وهنالك بواعد كثيرة أدت إلى ذلك منها تحضر العرب واستقرارهم في المدن ورقي حياتهم العقلية وأخذوا يتجادلون في جميع شئونهم السياسية والعقارية وكذلك العقل البشري نما نمو واسعاً فكان طبيعياً أن ينمو النظر في بلاغة الكلام وأن تكثر الملاحظات المتصلة بحسن البيان وكان ذلك في مجال الشعر والخطابة ، ولعل المجال الأول كان أكثر اكتشافاً لتعلق الشعراء بالمديح

[1]/ البلاغة عند المفسرين ص (17) رابح دروب .
[2]/ البلاغة تطور وتاريخ د/ شوقي ضيف الطبعة الثامنة ص (14) .

وتنافسهم فيه وكان في هذا العصر سوق المدبر في البصرة ، وسق كناسة في الكوفة . كما قام سوق (عكاظ) في الجاهلية وتحولاً إلى ما يشبه مسرحين كبيرين يغدو عليهما شعراء البلدتين ومن يفر عليهما في البادية واستطاع جرير والفرزدق أن يتطورا في سوق المريد لفت الهجاء القديم ومما تقدم نستدل على ان الملاحظات البيانية في العصور القديمة جاهلية إسلامية لم تغب على اذهان البلاغين حيث اصلوا مها قواعد البلاغة وهي تعد الأصل الأول لقو اعدهم [1]ومن معانيه وكان تلاميذه يعون عنه ما يقول ثم يروون عنه ما سمعوا منه وفي المدينة قامت مدرسة متأثره بأبن عباس وكان استاذها أبي بن كعب ومدرسة ثالثة في العراق كان عمادها عبد الله بن مسعود .

من معانيه وكان تلاميذه يعون عنه ما يقول يرون عنه ما سمعوا منه وفي المدينة قامت مدرسة متأثره بأبن عباس وكان أستاذها أبي بن كعب ومدرسة ثالثة في العراق كان عمادها عبد الله بن مسعود .

أما مكة فكانت المركز الرئيسي لابن عباس صاحب الدور الهام وذلك لموقعها ومكانتها الدينية حيث ملتقى الحجيج من جميع الأقطار الإسلامية يأتون اليها من كل فج عميق .

قال الامام أحمد بن تيمية : (أما التفسير فأعلم الناس به أهل مكة لانهم أصحاب بن عباس كمجاهر وعطاء بن رباح وعكرمة مولى ابن عباس وغيرهم من أصحاب ابن عباس وطاؤوس وابي الشنعاء وسعيد ابن جبير وامثالهم نجد أن اثر بن ابي عباس واضحاً واستمرتطريقته في الرجوع إلى الشعر العربي للتعرف على الغريب من ألفاظ القرآن الكريم والاعتماد على الكتابة والتمثيل والتشبيه والمجاز تلميحاً لا تصريحاً ومعنى لا شكلاً) .

وظل تلاميذه ينقلون هذا المنهج إلى عهد التابعين ومن يلهمهم وظل ذلك المنهج سائباً إلى ان حديث خصومه بين المتورعين والفقهاء وأهل اللغة ، فأنكروا عليهم هذه الطريقة وقالوا أن فعلتم ذلك جعلتم الشعر اصلاً للقرآن وكيف يجوز أن يخرج بالشعر على القرآن وهو مزعوم في القرآن

[1]/ سوره يوسف الآية 2

والحديث والشريف والحق ان هذه الخصومة التي انبعثت في الأجيال المتأخرة لا تقوم على أساس فني لا على قاعدة عملية شديدة فالأمر ليس كما زعم أصحاب هذا الراي من جعل الشعر اصلاً للقرآن بل هو في الواقع بيان للحرف الغريب من القرآن بالشعر لان الله إنما أنزله قرآناً عربياً لعلكم تعقلون [1] . ، ولهذا لم يتحرج المفسرون إلى يومنا هذا من الرجوع إلى الشعر العربي للاستشهاد به على ما تعجم عنهم في القرآن ، وهكذا نجد التابعين يسلكون الرسول (ﷺ)

ومنهج الصحابة رضوان الله عليهم في التفسير إذا يرتكزون على الجوانب اللغوية لتوضيح ماذق وخفي من الآيات الكريمات فأسهموا بذلك في الكشف على أسرار البلاغة في القرآن .

في العصر الأموي نجد تطوراً ملحوظاً في مفهوم البلاغة وذلك عندما أعجب معاوية بن ابي سفيان بفصاحة صحار بن عياش العبدي فقال له : (ما هذه البلاغة التي فيكم؟) قال صحار شيء تجيش به صدورنا فتقدمه على السنتا فقال له معاوية ما تقدمون البلاغة فيكم قال الايجاز؟ قال صحار إن تجيب فلا تبطئ وإن فلا تخطئ.

فمن خلال هذه القصة نلاحظ فعلاً بداية تبلور مفهوم البلاغة بل ان صحاراً نطق بالمعنى الاصطلاحي للكلمة قبل غيره تخص معاني في كلمة جامعة وهي (الايجاز وهذا التعريف ما زال معتمداً إلى يومنا هذا وفي ذلك دلالة واضحة على نضج التفكير البلاغي عند العربي الأموي وعمق فهمه وشدة ارتباطه بلغته) [2]، وقد بلغ خطبا الوعظ غاية في روعة البيان أمثال (الحسن البصري وواصل بن عطاء) وقد كثرت الملاحظات البيانية في هذا العصر وهنالك بواعث كثيرة أدت إلى ذلك منها تحضر العرب واستقرارهم في المدن والاعصار ورقي حياتهم العقلية وأخذو يتجادلون في جميع شؤونهم السياسية والعقارية وكذلك العقل البشري نما نمواً واسعاً فكان طبيعياً أن ينمو النظر في بلاغة الكلام وان تكثر الملاحظات المتصلة بحسب البيان وكان ذلك في مجال

[1]/ سوره يوسف الآية 2
[2]/ رابح دورب ، البلاغة عند المفسرين ص (17) .

الشعر والخطابة ولعل المجال الأول كان أكثر اكتشافا لتعلق الشعراء بالمديح وتنافسهم فيه وكان في هذا العصر سوق المدبر في البصرة .

وسوق كناسة في الكوفة كما قام سوق (عكاظ) في الجاهلية وتحولاً إلى ما يشبه مسرحين كبيرين يغدو عليهما شعرا البلدتين ومن يفر عليهما من البادية واستطاع جرير والفرزدق أن يتطورا في سوق المبرد لفت الهجاء القديم ومما تقدم نستدل على أن الملاحظات البيانية في العصور القديمة جاهلية وا إسلامية لم تغب عن اذهان البلاغيين حيث اصلوا منها قواعد البلاغة وهي تعد الأصل الأول لقواعدهم) [1] .

أما في العصر العباسي أتسعت الملاحظات البلاغية لسببين رئيسيين:

تطور النثر والشعر مع تطور الحياة العقلية والحضارية نشؤ طائفتين من المعلمين لمنيت أحداهما باللغة والشعر أما الأخرى لمنبت بالخطابة وأحكام الأدلة ورقة التعبير .

يعتبر أبن المقفع بلا شك في الطبعة من ثبوا الأسلوب الجديد الذي سمي باسم الأسلوب المولد وهو أسلوب يمتاز بالنصاعة والرقة في اختيار الألفاظ ووضعها في أمكنتها الصحيحة وبث المعاني المستحدثةفيها .

وقد فسر البلاغة لمعاني تجري في وجوه كثيرة منها ما يكون في السكون ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الإشارة فقد عمد إلى القسمة العقلية فجعلها اقساماً في الصمت والاستماع والاشارة والكلام وقد وضع بن المقفع قاعدة مهمة لكل متكلم وهو أن يكون لكل متكلم في فاتحة كلامه ما يشير إلى غرضه وقد سمي باسم حسن الاستهلال وهو يسلك في كتاب الدواوين إذا كانوا يختارون في الفصحاء البلغاء وقد تحولوا بالدواوين العباسية إلى ما يشبه مدرسة نثرية كبيرة.

[1]/ البلاغة تطور وتاريخ د. شوقي ضيف الطبعة الثامنة ص (4) .

إذا كانوا يتعهدون من تحت أيديهم من صغار الكتاب وكانوا لا يزالون يراجعونهم فيما يكتبون من رسائل وكانوا يأخذون أنفسهم بثقافة واسعة بكل ما نقل من التراث الأجنبي وخاصة الفلسفة اليونانية والثقافية والعربية وهي ثقافة ما زالوا يكبون عليها حتى وقفوا على تصاريف الكلام ووجوه استعماله وميزوا بين جيدة ورديئة ومقبولة وما بلغوا من ذلك كله جعل الجاحظ ينوه بهم في بيانه طويلاً ، يقول (أما أنا فلم ارقط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب فأنهم قد ألتمسوا من الألفاظ مالم يكن متوعراً ولا حثياً ساقطاً سوقياً)[1] .

من هذا نجد أن عنايتهم بالمعاني لم تكن تقل عن عنايتهم بالألفاظ وهؤلاء الكتاب كانوا يعيشون لإحسان الكتابة في أساليبهم ومعانيها وكان زوقهم مترفاً ما انغمسوا فيه ، في الحضارة ولا يزالون يبدئون ويعيدون في صفات البيان الحسن والبلاغة وأخذ الشعراء في المنزعين جميعاً يعنون عناية واسعة بالعربية وراح فريق منهم إلى البادية كي يتزود من منابعها الاصيلة يتقدمهم بشار وأبو نواس ومن أقام منهم الحضارة لزم اللغويين في المساجد الجامعة يروي عنهم الشعر القديم وما يزال يرويه حتى تستقيم له سليقته العربية حتى يفدوا كأنه عربي أصيل أما في مجال التجديد فأدخلوا الشعر التعليمي ومدونوه وزن كثيراً من المعاني تذرفها عقلهم الراقية وما تفقهوه من الفلسفة والفكر الأجنبي وقد ظل الشعر القديم حياً في هذا الخرس وانمحت الفروق بين البوادي وحواس العراق وحياة كل الحواضر وحياة الصحراء تلتقي جميعاً هذا اللقاء إلى المثمر الذي كان يتحول فيها كل معنى قديم أي سوره عباسية جديدة وهنا هو السر في أن تياره القديم ظل يجري في الشعر العباسي جريان السيل وينصب فيها انصباب القطر وكلما انتهى جيل من أجيال العصر اسلم مع التراث القديم الى الجيل الذي خلفه فاتصل بالتراثيين جميعاً من أجيال العصر اسلم ترائه مع التراث القديم الى الجيل الذي خلفه فاتصل بالتراثيين جميعاً وعمل بدوره في تثبيت الأسلوب المولد الجديد وهذا الالتقاء بين الجديد والقديم وهذا الاستقلال دفع الى نشاط الملاحظات البلاغية نشاطاً واسعاً فإن الشعراء وأذنوا كثيراً بين معانيهم ومعاني القدماء وحاولوا أن يثبتوا تفوقهم عليهم أو على

[1]/ البيان والتبيت ص 13711 للجاحظ (عثمان عمرو بن بحر بن محجوب دار ومكتبة الهلال (ط2))

الأقل أنهم يجارونهم في بعض بدائعهم ولا يتحلفون عنهم ومن خيراً ما يصور ذلك قول بشار : ما زلت أروي في بيت أمرئ القيس كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكراماً العناب والحشف البالي إذا شبه شيئين بشيئين متى صنعت .

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا * * * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وهو أنما يريد مجرد تشبيه شيئين بشيئين ، إذا التشبيهات مختلفات ولعل في ذلك ما يشير إلى الشاعر العباسي كان يحاول محاكاه الشاعر القديم في وسائله البلاغية من تشبيه وغير تشبيه مستعيناً بفكرة الدقيق ولطف مسالكه إلى المعاني والأخيلة بحسه الحضري الرقيق ومشاعره المرهفة

ومن خير ما يصور ذلك نجد بشارايستمع إلى قول كثير الا انما ليلى عصا وخيزرانه إذا غمروها بالأكف تلين فيقول : والله جعلها جافه خشنة .

وقد مضوا ينمون ما وجدوه عند القدماء من تشبيهات واستعارات وجناسات ومقابلات حتى إذا أظهروا مسلم جعل هذه المحسنات جزءاً لا يتجزأ من جوهر سعره وأطلق عليها مرة اسم (البديع) على الغاية المرتقبة من الاكثار والتفنن بل من الافراط والاسراف البعيد وعلى هذا النحو كان الشعراء والكتاب يكثرون من ملاحظاتهم البلاغية محاورين بكل ما بوسعهم أن يز ينوا المادة الأدبية القديمة لتحمل عصرهم ونفوسهم واحاسيسهم وعقولهم وأخيلتهم واستطاعوا ان يستوعبوا خصائص الأدب القديم وأن ينموها ليبلغوا كل ما كانوا يرمونه من روعة الشعر والنثر ولم يكن الشعراء والكتاب وحدهم الذين مضوا يدرسون وجوه البيان والبلاغة في فنهم فقد كان يشركهم في ذلك طائفتين المعلمين أخذوا في الظهور مع أواخر القرن الأول للهجرة وأوائل الثاني .

وهما طائفة المتكلمين الذين كانوا يعنون بتعليم الشباب فن الخطابة والمناظرة ثم طائفه اللغوين والنحويين وكانوا يحترفون تعليم اللغة ومقاييسها في الاشتقاق والاعراب وكانت عنايتهم القوية تنصب على استنباط أصول اللغة العربية من الوجهتين الاشتقاقية والنحوية ومع ذلك كانوا يعنون بتلقين الناشئة شيئاً من الخصائص البيانية.

وعلى هذه الشاكلة كان المعلون من اللغويين والنحاة ينثرون في تضاعيف كلامهم وشرحهم للشعراء وأي القرآن الكريم ملاحظات مختلفة على بلاغة الكلام وصورة البيانية والتعبيرية بحيث يمكن ان يقال أنهم أدوا حتى أوائل القرن الثالث الهجري في هذا الصدر خدمة قيمة، بفضل نظراتهم الفاحصة الدقيقة .

الفصلالثاني

المبحث الأول:

- قضية اللفظ والمعنى .

المبحث الثاني :

- (مفهوم البلاغة لغة واصطلاحاً) .
- أبو هلال العسكري الصناعتين (الكتابة والشعر) .

المبحث الثالث :

- نشأة البلاغة عبر العصور .
- البلاغة في العصر الجاهلي .
- البلاغة في صدر الإسلام .

- الدرس البلاغي وا إشاراته في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) .
- الدرس البلاغي في تفسير الصحابة .

من المعروف أن الكلام هو الذي يعطي العلوم منازلها ويبين مراتبها ويكشف عن صورها ويجني صنوف ثمرها ويدل على سرائرها ويبرز مكنون ضمائرها . وبه أبان الله تعالى الانسان من ساير الحيوان ونبه فيه على عظم الامتنان فقال عن من قائل: ﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الإِنسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)﴾ ، فلولا لم تقري فوائد العلم عالمه ؛ ولا صح من العاقل أن يتفق عن أزاهير العقل كمائمه . وتعطلت قوة الخواطر والأفكار من معانيها ؛ استوت القضية في موجودها وفانية .ولو اقع الحي الحساس في مرتبة الجماد ولكان الإدرك كالذي ينافيه من الأضرار وبقيت القلوب مقفلة تتصون على ودائمها ؛ والمعاني مسجونة في موضعها ، وصارت القرائح عن تصرفها معقولة . والأذهان عن سلطانها معزولة . ولما ظهر فرق بين مرح وذم وتهجين . ثم أن الوصف الخاص به المعنى المثبت لنفسه ونسبة (أنه يريك المعلومات التي تناولها المعرفة إذا سمت إليه) .

ومن البين (أن التبيان في هذه الفضيلة والتباعد عنها الى ما ينافيها من الرزيلة ليست بمجرد اللفظ كيف ؟ والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف. ويعمر بها الى وجه دون وجه من التركيب والترتيب. فلو أنك عمرت الى بيت شعر أو فصل نثر فعددت كلماته عداً كيف جاء وأتفق. وغيرت ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد ما أفاد وأبان المراد نحو أن تقول (قف نبكي من ذكرى حبيب) ومنزل مطلع أمرئ القيس ألي منزل قف ذكرى نبكي حبيب)[1] .

هنا قد تكون أخرجته من كمال المجال الى مجال الهذيان وأسقطت نسبته من صحابه وقطعت الرحم بينه وبين منشئه بل اجلت إن يكون له إضافة الي قائل ونسب يختص بمتكلم وفي ثبوت هذا الأصل ماتعلم به أن المعني الذي كانت عليه هذه الكلمة سوي بيت شعر او فصل خطاب هو ترتيبها علي ريقة معلومة ، وحصولها علي صوره من التأليف مخصوصة . وهذا الاختصاص في

[1]/ سوره الرحمن الآيات (1 ، 2 ، 3 ، 4) من كتاب أسرار البلاغة الإمام عبد القاهر الجرجاني الطبعة الأولى (ص 2 - 25)

الترتيب يقع مرتب في النص ولا يتصور في الالفاظ وجوب تقديم او تأخير ويخصص في ترتيب وتنزيل في مخطوطة رشيده رضا (ولن يتصور في الالفاظ .....) وهو كلام غير مستقيم. وعلي ذلك وضعت المراتب والمنازل في الجمل المركبة واقسام الكلام المرونة فقيل : من هذاأن يسبق ذلك ومن خلال تفهمنا لذلك البيت (اصمت بما اودعاني وقول أبا تمام . أنجر ثم من بعد أتهام دراكم فيا دمع أنجرني على ساكني نجر التجنيس المستوفي والرفق ونحو منزلتي يحفظها منزلي وباجتي تكرم ديبا حتى مع أن الصورة هنا صورة من التكرير والاعادة وأن كانت لا تظهر الظهور العام الذي لايمكن دفعه الا في المستوفي المتفق الصورة كقوله : ما مات من كرم الزمان فانه يحي بن عبد الله هنالك أشعاراً أثنوا عليها من جهة اللفظ ووصفوها بالسلامة ونسبت الى الدماثة قالوا كأنها الماء جريانا – الهواء لطفاً والرياض حسنا وكأنها الديباج وكأنها النسيم وأيضاً ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من ماسح وشدت على دهم المهارى رحالنا ولم ينظر الفادي الذي هو رائح أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسألت بأعناق المطي الأباطح .

إذا أحسنا التأمل فأننا لا نجد لا ستحسانهم وحمدهم ومدحهم منصرفاً الى أشعاره وقفت موقعها وأصابت غرضها حتى يصل المعنى الى القلب مع وصول اللفظ الى السمه والى سلامة الكلام من الحشو غير المفيد وأول محاسن هذا الشعر أنه قال : (ولما قضينا من مني كل حاجة) .

عبر عن قضاء المناسك بأجمعها والخروج من فروضها وسننها من طريق أمكنة أن يقصد معه اللفظ وهو طريقة ثم نبه ومسح بالأركان من هو ماسح على طواف الوداع الذي هو اخر الامر ، ودليل السير الذي هو مقصود من الشعر . ثم يقول : (أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا) فوصل بذكر مسح الأركان وما وليه من ذم الركاب وركوب الركبان ثم دل بلفظه الأطراف على الصفة التي يختص بها الرفاق وأنبا عن ذلك من طبيب النفوس وقوة النشاط وفضل الاغتباط كما توجبه الفة الاصحاب وانسة الأحباب وكما يليق بحال من وقف لقضاء العبادة الشريفة ورجاء حسن الاياب .وتتسم روائح الأحبة والأوطان و استماع التهاني والتحايا من الخلان والاخوان وزاد ذلك باستعادة لطيفة طيق فيها مفصل التشبيه وأفاد كثير من الفوائد .

أولاً :

أخذو بأطراف الأحاديث وتنازعوا احاديثهم على ظهورهم الرواحل وسرعة السر كالطاء تسيل به الاباطح ثم قالوا بأعناق المطي ولم يقل (بالمطي) لان السرعة والبطء يظهران غالبا في أعناقهما وتتبعها في الثقل والخفة وتعبر عن مدح ويكون كالجوهرة التي أن ازدادت حسناً بمصاحبة أخواتها وأكتسب بها . ليس هذا بقياس الشعر الموصوف بحسن اللفظ وبعض المعاني الحكمية والتشبيهية وازدياد الحسن فيها بأن يجامع شكلاًوان يصل الذكر بين متدانيان من ولاده العقول ومتجاوزات في تنزيل الأفهام لها . وفي هذه الفصول وأن كانت قضايا لا يكاد يخالف فيها من به طرق يخالف فيها من به طرق فهو يذكر الأمر المتفق عليه ليبني المختلف عن أوائلها وثوانيها وطريقة في العبارة عن المعزي في ما يبرز به وفاقاً في معرض خلاف . (ورب صديق والاك بعلاج وتبقى منه سوء مزاج . أما في السجع ما جاء في قوله القائل : (اللهم هب لي حمداً ، هب لي مجداً فلا مجد الا بفعال ولا بأيمان) وقول ابن العميد فان الإبقاء على حزم السلطان عدل الإبقاء على ماله والاشفاق على حاشيته وحشمه عدل الاشفاق على داره ودرهمه ومثل هذا القول يكثر في كلام القدماء وهذه الالفاظ لا يجتلب من أجل السجع وترك ما هو أحق بالمعنى منه وأبر به وأهدى الى من هبه .

الطريق الى المستحسن من التجنيس والسجع لم يعلم اصلاح لما راد من هذه الالفاظ ولم يره مخلاً بالسجع بمعنى أومحدثاً في الكلام استكراها أو خارجاً الى تكلف أو استعمال لما ليس بمعتاد في غرضه مثلاً قول الجاحظ (حئلت أبلى) أو (جمالي) أو (نوقي) لكان لم يعبر عن حق معناه ، وانما حئلت قوله : (وشققت ثيابه) وضربت صحابي .

أن المعنى المقتضى اختصاص هذا النحو بالقبول هو أن المتكلم لم يقر المعنى نحو التجنيس والسجع بل قادة المعنى اليها حتى أنها لو رام تركها الى خلافها مما لا تجنيس فيه ولا سجع لدخل من عقوق المعنى وإدخال الوحشة عليه في تشبيه بما ينسب اليه المتكلف للتجنيس المستكرهة والسجع النافز ولن نجد احسن وأهدى الى الإحسان من أن ترسل المعاني على سجيتها وتزعا تطلب لأنفسها الألفاظ فأنها أذا تركت ما تريد لم تكسب الا ما يليق بها . لذلك لا بد أن تصنع في نفسك أو أن تحسن أو تسجع بلفظتين مخصوصين فهو الذي أنت منه بقرض الاستكراه ، وعلى خطر من (الخطأ والوقوع في الذي فان ساعدك الجد كما ساعد في قوله : (أودعاني) وربما طمس بكثرة ما بتكلفة على المعنى أو افسده كمن ثقل العروس بأصناف الحلي حتى ينالها من ذك مكروه نفسها فان ارادت أن تعرف مثالاً فيما ذكرت لك من أن العارفين بجواهر الكلام لا يعرجون على هذا الفن الا بعد الثقة بسلامة المعنى وصحته مثال لذلك خطب الجاحظ ومن طبيعة الخطب أن يعتمد فيما الأوزان والاسجاع فأنها تروي وتتناقل تناقل الاشعار وصلحها النسب والتشبيه من الشعر الذي هو كأنه لا يراد فضل القوة والاقترار على التفنن في الصفة قال في أول كتاب الحيوان (جنبك الله التشبه وعصمك من الحيرة وجعل بينك وبين المعرفة سبباً وبين الدق نسباً وحبب اليك التشبث وزين في عينيك الانصاف وأذاقك حلاوة التقوى وأشع قلبك عن الحق وأودع صدرك برد اليقين وطرد عنك ذل اليأس وعرفك ما في الباطل من الذلة وما في الجهل من (القلة)ومن الملاحظ أنك لا تجد تجنيساً مقبولاً ولا سجعاً حسناً حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحو ولا تجد عنه حولاً ، ومن همنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأحقه بالحسن أولاه ما وقع من غير قصد من المتكلم الى اجتلاء به وتأهب لطلبه أو ما هو لحسن ملائمته وأن كان مطلوباً بهذه المنزلة وفي هذه الصورة وقد سئل الشافعي عن النبيذ فقال (أجمع أهل الحرمين على تحريمه) **ويطابقه قول البحتري :**

يمسني عن المجد الغبي ولن ترى * فـــي ســورد أربـــا بغير أريب**

نجد أن العرب أرجعوا الاستحسان الى جانب اللفظ من غير شرك من المعنى فيه وكونه من أسبابه ودواعه وأن تكون اللفظة مما يتعارف الناس في استعمالهم ويتداولونه في زمانهم ولا يكون وحشياً غريباً أو عامياً سخيفاً كقول العامة اشتعلت وقد أشرط هذا الشريط وربما أستخسف اللفظ بأمر يرجع الى المعنى دون اللفظ كما يحكى من قول عبير الله بن زياد لما دهشه (افتحوا لي سيفي) وذلك الفتح خلاف (الاغلاق) فحقه أن يتناول شيئاً هو في حكم المغلق والمسدود واقصى أحواله أن يكون كونه في الغمر بمنزلة كون الثوب في الحكم والدرهم في الكيس والفتح في هذا الجنس يتعدى أبدا إلى الوعاء المسدود على الشي الحاوي له فلا يقال أفتح الثوب وانما يقال أفتح (الحكم) .

أما القبح فهنالك اقسام قد يتوهم في بدء الفكرة إن الحسن والقبح يتعدى اللفظ والجرس الى ما يناجي فيه العقل لأنه تجانس اللفظتين لا يستحسن الا إذا كان موقعها معنييها من العقل موقعاً حميداً ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً مثال أبي تمام في قوله:

ذهبت بمذهبة السماحة فالتوت &&& فيه الظنون مذهب أم مذهب [1]

واستحين تجنيس القائل (حتى نجا من خوفه ما نجا) وقول المحدث (ناظراه فيما من ناظراه أودعاني أمت بما أودعاني لأمر يرجع الى اللفظ لأنك رأي الفائزة ضعفت عن الأول وقويت في الثاني).

هنالك بعض الآراء في المعاني والألفاظ فالشعراء من أمثال زهير والخطيئة حيث ينظم قصيدة يظل يتأمل في اعطائها فيرق أو يزيد بيتاً ويصلح عبارة هنا أو هنالك ويصفي الابيات من شوائبها ويخلص القوافي من أدرانها تخليصاً تاماً وفي الأغاني كان الخطيئة رواية زهير والزهير وتنه أتي كعباً فقال له: (قد عملت روايتي لكم أهل البيت وانقطاعي اليكم وقد ذهب الفحول غيري

[1]/ من الكامل في ديوانه .

فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً بعدك قال أبو عبيدة تبدأ بنفسك فيه ثم تثني بي فان الناس لا شعاركم أروي واليها أسرع فقال كعب:

فمنالقـوافيشأنهـامنيحوكها _____ * * * _____ إذامـاثويكعبوفوزجروي

كفيتـكلاتلقـىمـنالناسواحد _____* * * _____ تنخـلمنـهامثلنـــاتتنخل

نثقفهـاحتــىتلينمتونهــا _____ * * * _____ فيقــهرعنهــاكــلمــايتمثل

فهو هنا يزعم أنه هو والخطيئة يتفوقان على كل من عداهما في تقويم اشعارهما وأخذها بكل ما يمكن من تفتيح وتعديل هذا التصوير في العصر الجاهلي بالشعراء في ذلك العصر كانوا يقتضون عند اختيار الالفاظ والمعاني والصور وملاحظات لا ريب انها أصل الملاحظات البيانية والبلاغية وان اشعارهم تزخر بالتشابهات والاشعارات أما القران فكانت آياته تتلى في أناء الليل واطراف النهار اما الرسول صلى الله عليه وسلم فكان حديثه يشيع على كل لسان وكانت خطبة ملء الصدور والقلوب وفي اخبار الرسول ما يدل على أنه كان يعنيه عناية يتخير لفظه ، فقد أثير عنه أنه كان يقول : (لا يوق أحدكم خبث نفسي ولكن ليقل لفئت نفسي كراهية أنه يضيق المسلم) الخبث الى نفسه وكان أبوبكر وعمر وعثمان وعلي خطباء مفوهين وكانوا يستفيدون في خطاباتهم لخطابة الرسول الكريم واية الذكر الحكيم ومما يدل على شيوع دقة الحسن حينئذ ما يروي عن أبي بكر من أنه عرض لرجل معه ثوب فقال له : أتبع الثوب ؟ فأجابه: لا عافاك الله . وتأذى أبوبكر مما يوهمه ظاهر اللفظ أنه قدة يظن أن النفي مسلط على الدعاء – فقال له : (لقد علمتم لو كنت تعلمون ، قل لا وعافاك الله ويضرب الرواة مثلاً لبلاغة عمر انه كان يستطيع أن يخرج الفناء من أي شرقية وكان على لا يباري فصاحة وبلاغة) .

ختاماً نجد أن العرب حين رأوهم يفردون اللفظ دون المعنى ويجعلون له حسناً على حده وقد قسموا الشعر فقالوا : (أن منه ما حسن لفظه ومعناه ما حسن لفظه دون معناه ومنه ما معناه دون لفظه) وراهم يصفون اللفظ بأوصاف لا يصفون بها (المعنى) ظنوا أن للفظ من حيث هو لفظ حسناً

رمزية ونبلاً وشرفاً وان الاوصاف التي يخلوه اياها هي أوصافه على الصحة وذهبوا عما قدمناه شرحاً ومن أن لهم في ذلك رأياً وتدبيراً وهوان يفصلوا بين المعنى الذي هو الغرض وبين الصورة التي يخرج فيها فنسبوا ما كان من الحسن الرمزية في الصورة المعنى الى (الفظ) وصفوة في ذلك بأوصاف هي تخبر عن أنفسها أنها ليست له كقوله (أنه حلي المعنى وأنه كالوشي عليه وأنه قد كسب المعنى دلاً وشكلاً) .

قضايا الإعجاز القر آني كانت من أبرز قضايا البلاغة التي أنصب عليها اهتمام الدارسين وذلك يرجع سببه الى وقوع خصوم الإسلام ومعارضيه أبان فترة المد الهائل الذي أفزع هؤلاء الخصوم وكانت هذه المهمة الخطيرة تحتم عليهم أن يعرفوا كتاب الله الذي هو مادة هذه العقيدة معرفة عميقة ليرددوا عنه شبه الخصوم من ناحية وليظهروا ما فيه من وجوه التفوق والرفعة التي جعلته معجزاً يتحدى الجميع أن يعارضوا ويتمادى الزمن دخل غير العرب الإسلام احتاج المسلمون أن يتعرفوا على اعجاز القرآن واضطروا الى بحث ودراسة ذلك ومن الواضح في هذا الاستعراض لهذا الكتب أنها تتسم بعدة خصائص وهذه الخصائص يمكن تصورها في عدة مسائل هامة منها:

أولاً : المحكم والمتشابه في القرآن الكريم .

ثانياً : رد الشبه والمطاعن عن القرآن .

ثالثاً : هي قضية الاعجاز القرآني بين المتكلمين واللغويين.

المسألة الأولى : (المحكم والمتشابه في القرآن الكريم كانت لموضوع المحكم والمشابه وتفسير أهل السنة والمعتزلة أهمية كبرى أنصبت جهودهم عليه وكثرت المنصفات فيه وقد حظيت المصنفات في هذا الموضوع وبخاصة عند المعتزلة لانهال اعماد مذهبهم والاصل الذي تقوم عليه عقائدهم مقبولة لدى الناس وقادرة على الوصول اليهم واقناعهم ويتفق المعتزلة مع أهل السنة في أن الآيات والمحكمات في القرآن الكريم هي التي عالجت هذه المسألة وقد أظهرت مجهوداً جباراً وكان الدارسون لها على جانب كبير من الطهارة والبداعة ومما يشهد لأصحابها بالثقافة العربية لاغزيرة

وقد استخدمت كتب التفسير أسلحة فنيع متعددة لونت اسلوبهم في دراسة **المحكم والمتشابه ونستطيع أن نحضر هذه الأسلحة في ثلاثة) وهي :**

(العقل _ واللغة _ والمجاز) [1] **.**

أما العقل: فهو في تصورهم الحكم الفيصل بين الأمور وحكمة لا يخطي ومن هنا كان في النضور الاعتدالي تقديمه على النقل والرواية ومما قد يدل عليه ظاهر اللفظ وصريح العبارة أما اللغة: فقد توسعوا في استعمالها توسعاً لا حد له. في هذه المسألة خاصة وتحولت اللغة بين أيديهم الى أداء طبعة لينة – يشكلونها كما يريدون واتسعت عندهم دلالات الألفاظ فأصبحوا يستنبطون للفظ الواحد أكثر من معنى ويقلبونه على وجوه المدلولات اللغوية المختلفة التي يمكن أن يشير اليها. ثم ينتقلون من هذه المعاني ما يشاءون.

أما المجاز: فهو سلاح ثالث كانوا يلجؤون اليه حينما تستقصي عليهم اللغة ولا تسعفهم العبارة أو مدلولات اللفظ وعندئذ يحملون العبارة على المجاز تلك هي الأسلحة الثلاثة التي استعملت في مسألة المتشابه والمحكم وينفي أن نلاحظ هذه الأسلحة في يد الجميع ولم تكن منفصلة أو متباعدة بل تأتي متضامنة يشد بعضها أرز بعض ويقوى أحدها الأخر.

المسألة الثانية : رد الشبه والمطاعن عن القرآن أهتم الباحثون في دراستهم للقرآن ومعالجتهم لأبحاثه المختلفة بقضية رد الشبه والمطاعن عن القرآن أهتم الباحثون في دراستهم للقرآن ومعالجتهم لأبحاثه المختلفة بقضية رد الشبه والمطاعن عن القرآن وكان هذا جزء مهم في الدفاع عن الإسلام ورد الخصوم عنه وقد رأينا كثير من الملحدين المتشككين وأعداء الاسلام بصفة عامة يثرون حول القرآن عدداً من الشبه والمطاعن بقية الحط من قدره والنيل من رجته الرفيعة ومكانته السامية في الأعجاز وكانت طبيعية هذه الشبه والمطاعن التي أوردها تنحصر في جانبين جانب يتعلق بالمضمون والأخر بالشكل والأسلوب أما المضمون فقد ردد مزاعم بعض المتشككين أن

[1]/ البلاغة عند المفسرين حتى (نهاية القرن الرابع الهجري (رابح دوب) دار الفجر للنشر الطبعة الثانية، ص 457 .

القرآن به تناقضاً أو اختلافاً بين بعض معانيه وأفكاره وساقوا مجموعة من الآيات توهم النظرة السطحية اليها ذلك الادعاء وهنا تعدي علماؤنا في تلك المرحلة حيث كشفا هذا الزيف وقد مرح الله القرآن بنعي أي اختلاف أو تناقض فيه بل أن ذلك وجه من وجوه الاعجاز اما الذي يتعلق بالشكل والأسلوب .

ردت تلك الشبه التي وجهت أي أسلوب القرآن وشكله في التعبير وهذا الجانب الاعجازي هو جانب البلاغة الذي يعتبر الحديث فيه على غاية من الأهمية مما دفع الجاحظ أن يطيل القول في تشابهات القرآن ويرد التهمة التي وجهت اليها عن خفا العلاقة بين المشبه والمشبه به فقد شبه شجرة الزقوم.برؤوس الشياطين وبين أن وجه الشبه تنتزع من غير ما هو مدرك بالحس اعتماداً على ثبوته في الادراك عن طريقة العادة والعرف وتناقل الناس له ومن الظواهر الفنية التي أتسم بها أسلوب القران والتي راي فيها الاعادي والمشككون والسطحيون مجالاً للطعن في أسلوب القرآن ظاهره التكرار والتطويل في بعض الأحيان وتكرار القصة القرآنية في مواطن متصرفة عمل يحسن لصالح الأسلوب القرآني وظاهره بلاغية وا ٍعجازية لو عقل هؤلاء.

ولوقف المرتضى في المالي عند بعض ما ورد فيه الكلام على سبيل الأطناب والاطالة بزيادة عبارة أو لفظه يظن المشككون الذين ينظرون إلى الأمور نظرة سطحية أنه يمكن الاستغناء عنها فيكون أسلوب القرآن معيباً بالحشو كقوله تعالى : (فخذ عليهم السقف من فوقهم) فقد يبدو للمتوهم أو السطحي أنه من (فوقهم) عبارة زائدة في الكلام نجد إن المرتضي يطيل الوقفة عند هذه الأمثلة ويردها الى المألوف المستعمل في كلام العرب ومذهباً مشهوراً عند من تصفح كلامهم فمن خير لا يرجى وانما غرضهم انه لا خير عنده على وجه من الوجوه ومثله لم ير الا قليلاً ولا كثير اً ويفي القول في كل أية مبيناً كيف أفاده هذه الزيادة تأكيداً في النفي ومبالغة فيه المسألة الثالثة :

هي قضية الأعجاز القرآني بين المتكلمين واللغوين [1] :

[1]/ سورة النحل الآية (23)

في هذه القضية عالج اللغويين مسائل البيان ونظرية الأدب وأسلوب اللغويين،واعتبروهم قد ضيقوا مجالات الفن ولم يتعقو ا. لولم يكشفها ما وراء الألفاظ من المعاني.

ولم يجنحوا الى أدراك الصور الفنية ولم يسيروا أغواره ليخرجوا عجائبه، ويزرقوا الأدب ذوقاً أدبياً يملا النفس روعة والحسن جلالاً ويتدرج من الفترة البشرية الى الاعجاز الإلهي وحين استعرضنا جهودهم في الميدان الفني لنظرية الإعجاز.

لمسنا أثر تعمق المتكلمين في دراستهم ومدى سداد منهجهم الذي أدى الى إضافات في فنون البيان أضيفت الى جهود الذين سبقوهم من الرواة والشعراء والنقاد وما كان غيرهم بمستطيع ذلك لولا المتكلمون ومن أهم فضلهم على الدور الرائع الذي حققوه في البلاغة عامة وفي نظرية **الاعجاز خاصة في جانبها الفني ونلخص ذلك في الآتي:**

أولا: المجاز اللغوي:

ثانياً : التأثير النفسي.

ثالثاً : دراسة الجمال والذوق الأدبي.

المجاز اللغوي:

لجأ المعتزلة الى هذا الباب حتى يتسع أمامهم القول ويلفتوا من القيود التي ألزمهم بها المجسمة وغيرهم من الطوائف حين عالجوا التشبيه في القرآن ول هاجموا اللغوين ظاهره اللفظ.

وراحوا ينزهون الذات الالهية عن كل ما ينالها من حسية وجنحوا الى الصور الذهنية والخيالات الضمنية ليبرز معانيها البقية في نفس الناس وكان عدتهم في ذلك المجاز اللغو ي وقد وضح ذلك الجاحظ حيث إن للعرب أمثال واشتقاقات وأبنية موضوع كلام يدل عندهم على معانيهم وعلى تلك الألفاظ مواضع اخر فمنى لم يعرفها جهل وتأويل الكتاب والسنة والساهر والمثل وفي ضروب من العلم وليس هو من أهل هذا الشأن هلك واهلك.

ويقول المرتضي في أماله وكلام للعرب وحين و لشارات ومجازات واشعارات ولهذا الحال كان كلامهم في المرتبة العليا من الفصاحة فان الكلام مي خلا من الاشعارات ، وجري كله على الحقيقة كانه بعيداً الفصاحة بريا من البلاغة وكلام الله تعالى وافصح الكلام بل أن أساس البلاغي للزمخشري بن لتطبيق هذا الراي على اللغة [1].

ثانياً : التأثير النفسي: -

كان للمعتزلة الباع الطويل في هذه المجالات فهذه صحيفة (بشر بن المعتمد والتي رواها الجاحظ في البيان والتبين وفيها ينصح بشر بن المعتمد كل أديب سواء أكان خطيباً أم كاتباً أم شاعراً بأشياء هامة من ناحية الألفاظ والمعاني وكيفية التهنيء لها حتى تصدر منه كما يصدر الماء من ينبوعه ويشرح أيضاً جانب تأثير الخطيب أو الأديب في نفوس المستمعين أو القراء قائلاً : (ينبغي للمتكلم أن يعرف إقرار المعاني ويوازن بينهما ، ويبين اقدار المستمعين ويبين اقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ولكل حالة من ذلك مقاماً حتى يقسم الكلام على اقدار تلك الحالات وارتبط التأثير في النفس بجانب الايجاز والاطناب في البلاغة لأنها يتصلان مباشرة بنفس المستمع أو القارئ وقد توسع الجاحظ في الحديث عن الأطناب والايجاز ومواضعها من ذلك حديثه ن الترداد والتكرار في القصص القرآني يقول وقد رأينا الله عزوجل ردد حديثه عن ذكر قصة موسى وهود وهارون وشعيب وا ٍبراهيم ولوط وثمود وكذلك ذكر الجنة والنار وأمور كثيرة لأنه خاطب جميع الأمم من العرب بجميع أنصاف وأكثرهم على غفلة ومعاند ومشغول الفكر ساهي القلب ويكرر الجاحظ مع بشر بن المعتمد فكرة مطابقة الكلام لمعاينة وللأحوال المختلفة وطبقات المستمعين حتى لا ينفذ الكلام الى السمع) .

ويقول أيضاً : (وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيرة ومعناه في ظاهره في نفسه اذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً وكان صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراه ، ومنزها عن الاختلاف ومصوناً عن التكلف في القلوب نسيج الغيث في التربة الكريمة وعند الروماني من البلاغة إيصال

[1]/ أعجاز القرآن، منير سلطان، ص 224 .

المعنى الى القلب في احسن صورة من اللفظ ويرجع القاضي أبو الحسن عبد الجبار تفاضل ناظم عن ناظم في اختيار الالفاظ والتأثير على المستمع ويسمى ذلك (قوة المحاضرة والباقلاني يعتبر فهو خارج عن الوحشي المستكرهة والغريب المستنكر وعن عباراته الى النفس ومع ذلك ممتع المقلب عسير المتناول ، غير مطع مع قربة في نفسه ولا موهوم مع دونه في موقعهم أن يقرر عليه ، أو يظفر به ولا نقول أن ابراز هذا الأثر النفسي في الاعجاز القرآني كان من صنع المتكلمين أو ابتكاراتهم ولكنهم أهتموا به وأعطوه منزلة سامية وأبرزوه ومنحوه ما يستحق من التقدير والاهتمام).

ثالثاً : دراسة الجمال البلاغي والذوق الأدبي:

ومن الانصاف للحقيقة إن تذكر أن المتكلمين بدون استثناء قد أولو ظاهره الجمال البلاغي والذوق الأدبي في القرآن عناية خاصة وعنوا بدراستها ولا نريد هنا أن نفصل القول في هذا المبحث ولكنها إشارة لجهد المتكلمين فيها ، أو بمعنى أدق لفضلهم في هذا المبحث والمادة قد تكون واحدة ولكن اختلاف الصور التي تتعرض فيها تعطيها قيمة جمالية مختلفة وقد تكلم البشر ابن المعتمد عن التوعر في صحيفته يقول : (أن التو عر يسلمك من التعقيد والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشتت الفاظك هو يكرر دائماً القول في أنه لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً وساقطاً سوقياً وأن المعاني إذا اكتسبت الألفاظ الكريمة والبست الاوصاف الرقيعة ، تحولت في العيون عن مقادير صورها وأربت عن حقائق أقدارها بقدر ما زينت وحسب ما زخرفت فقد صارت الألفاظ في معاني المعارض وصارت المعاني في معنى الجواري والقلب ضعيف وسلطان الهوى قوي) .

نجد أن أبو الحسن عبد الجبار يعني كثيراً بالذوق الأدبي والحسن البلاغي عن الاعجاز القرآني يسمى ذلك بالقدر الضروري أو الآلة أو الألفاف أم الباقلاني تحدث عن تفضيل الله سبحانه وتعالى في اللغة العربية عن غيرها وقد جعلت لذلك حيلة للنظم القرآني وعلق بها الاعجاز فصار دلالة عن النبوة اما الوجه العاشر عنده في اعجاز القران يرجع الى سهولة سبيله وخروجه

عن الوحشي المستكرهة ، ومن المؤكد أن الدارسين لإعجاز القرآني وتفسيره تركوا أثراً لا حدود له في مجال الدراسات البلاغية أما الأدبية فقد كتب الجاحظ في كتابه (البيان والتبين) سجل ملاحظاته وملاحظات معاصريه العرب والسابقين وكذلك في البلاغة .

أما الباقلاني فهو صاحب المنهج المقارن بين القرآن وروائع الأدب العربي جاهلياً وعباسياً كي يثبت إن القران لا يقدر عليه ولذك بالأدلة من اهم النماذج التي عنيت باثر الدرس البلاغي في قضايا الاعجاز القرآني نموذجين يمثل احداهما المدرسة الاعتدالية والأخر النسبة .

فالجاحظ يمثل مدرسة التأسيس والتأصيل أما البلقاني يمثل مدرسة الموازنة والمقارنة والتمهيد .

حظيت نظرية النظم بقبول واسع من الدراسات النقدية الحديثة ربما كانت من أكثر الاثار النقدية ملائمة لمناهج النقد الحديث كما ظن ذلك الدراسون لها وقد وجد من يقارن بين أفكار عبر القاهر وشروحه على نظرية النظم وبعض تيارات الفكر العربي والأوربي متحمساً لعبد القاهر .

وذلك أن له فضيلة السبق ووجد أيضاً من ينفي على النقاد بعد عبد القاهر أنهم لم يطوروه هذه النظرية ولم يحسن استخدامها داخل الدارسات القديمة .

فالعرب كان لهم الفضلي فيا لنظم وحسن التأليف ولهم شأوا لا يبلغه الدخلاء في كلامهم والمولدون وسبب ذلك إنه قال (لا غزو فان اللغة لها بالطبع ولنا بالتكليف ولن يبلغ الدخيل في اللغات الألسنة مبلغ من نشأ عليها وبرئ من أول خلقة لها ، مما يوهم أن المزية أنها من جانب العلم بالغة وهذا خطأ عظيم لأنه لا يثبت اعجاز حتى تثبت مزايا علوم البشر وتقصر قوة نظرهم عنها وان المزية لم توجب من أجل العلم بنفس الفروق والوجوه ولكن ليس للعلم فضل بأن الواو للجمع والفاء للتعقيب بغي تراخ وثم تراخ وثم بشريط التراخي وان (بكنا واذا) وكذا ولكن لا ن يتأتى لك اذا نظمت شعراً وألفت رسالة أن تحسن التخيير عن القدماء دل على فساد المذهب وأنكاره وكتب الجاحظ بلغت في ذلك كل مبلغ وقد انتهى أن جعل العلم بالمعاني مشتركاً وسوي بين الخامة والعامة وبين أن افضل الشعر بلفظه لا بمعناه ولم يستحق هذا الاسم اذا عدم الحسن

في لفظه ونظمه وقد أعاد طرف من هذا الحديث في البيان فقال لقد رأيت أبا عمرو الشباني يكتئب اشعاراً من أفواه جلساته ليدخلها في باب التحفظ والتذكر وربما ، خيل الى أن أبناء أولئك الشعراء لا يستطيعون ابداً أن يقولوا شعراً جيداً ، لمكانة أعراقهم من أولئك الإباء وقال : (لولا أن أكون عياباً ثم للعماء خاصة لصورت لك بعض ما سمعت من أبي عبيدة ومن ابعد في وهمك) [1] .

نجد أن العرب لم يبلغوا في انكار هذا المذاهب ما بلغوه لان الخطأ فيه عظيم وأنه يقضي بصاحبه الى أن ينكر الاعجاز ويبطل التحدي من حيث لا يشعر وذلك أنه إن كان العمل على ما يذهبون اليه من أن يجب فضل ومزية الا من جانب المعنى وان استخراج معنى غريب أو تشبيه نادر من الفصاحة والبلاغة في شأن النظم والتأليف وبطل أن يجب بالنظم فضل وان تدخله المزية وات تتفاوت فيه المنازل وكذا اذا أجمعوا وجلعوا المعنى يتصور من أجل اللفظ بصورة ويبدو في هيئة ولا يصلح شيء منه حيث الكلام على ظاهره لا يكون كناية ولا تمثيل ولا اشعاره ولا استعانة في الجملة بمعنى على فالدلالة هنا على الغرض من مجرد اللفظ مثلاً (أيت أسراً ، لقيت الليث) ففي المثل الثاني أنه صور المعنى في غير صورته الأولى . فجملة الامر أنه صور المعاني لا تغيير بنقلها من لفظ الى لفظ حتى يكون هنالك اتساع ومجاز وحتى لا يراد من الألفاظ ظواهر ما وضعت له في اللغة، ولكن يشار بمعانيها الى معاني اخر ما دام إن النظم واحد ولكن أذا تغير النظم تغير المعنى على ما مضى من البيان من مسائل التقديم والتأخير فانت حيث تقول (إن زيداً كالأسد) ، (وكأن زيداً الأسـد) لم يتغير من اللفظ شيء ولكن تغير النظم فقط .

والاصل في المجاز أن تذكر الكلمة وانت لا تزيد معناها ولكن تزيد معنى ما هـ ردف له أو شبيه وان في الكلام مجازاً على غير هذا السبيل وتكون الكلمة متروكة على ظاهرها أما المعنى مقصوداً في نفسه ومراداً من غير تورية ولا تعريض وفي المثال (نهارك صائم وليلك قائم) في نفس (صائم) و (قائم) ولكن أجريت خبرين على النهار والليل وكذلك ليس المجاز في الآية في لفظه (ربحت)

[1]/ دلائل الأعجاز للأمام أبي بكر عبد القاهر الجرجاني (2) البيان والتثبيت، مطبعة المدني بالقاهرة، ص 249 (ط) .

ولكن في اسنادها الى التجارة كما اريد (سألت) في قوله وسألت بأعناق المعنى الأباطح – غير السبيل.**اما بيت الفرزدق:**

بجمي أذا أخترط السيوف نسائنا &&&ضرب تطير له السواعدُ أرعلُ

وا ِذا رجعنا الى الحقيقة: (نجمي إذا اخترط السيوف نساءنا بضرب تطير له السواعد أرعل) ثم اسير حالك؟ هل ترا مما كنت تراهشيئاً . نجد أن هذا الضرب من المجاز الحكمي على حدته كنز من كنوز البلاغة ومادة الشاعر المغلق والكتاب البليغ في الابداع والإحسان والاتساع في طرق البيان. وفي طرق البيان. وفي حذف المضاف منه والمضاف اليه مقامه مثل قوله عز وجل (وأسأل القرية)[1]

وان كنا نراهم يذكرونه حيث يذكرون حذف المضاف إنه في تقدير فإنما ذات اقبال وابان لان المضاف المحذوف من نحو الآية في سبيل ما يحذف خبر المبتدأ والمبتدأ اذا دل الدليل عليه الى سائر ما اذا احذف كان في حكم المنطوق به . فاذا قلت مثلاً (بدت مثل قمر ومالت مثل خوط بان ، وفاحت مثل عنبر ، ورنت مثل غزال) فانا نخرج الى الغثاثة والى شيء يعزل البلاغة عن سلطانها ويخفض من شأنها ويسد باب المعرفة بها ولطائفها .

أما في الكناية واثبات الصفة عن طريقها فانهم ذهبوا بها مذهب الكناية والتعريض فبدت هنالك محاسن تملأ الطرف ودقائق تعجز الوصف وبلاغة لا يكمل لها الا الشاعر المغلق والخطيب وان الصفة اذا لم تأتي مصرحاً لذكرها كان ذلك افخم لشأنها من جانب التعريض والكناية والرمز والاشارة ومن الحسن والرونق مالا يقل قليله وتفسير هذه الجملة وشرحها أنهم يرمون وصف الرجل ومدحه مثال قول زياد الأعجم.

أن السماحة والمروءة والندى * في قبة ضربت على بن الحشرج**

[1]/ سورة يوسف الآية 82 .

أراد أن يثبت هذه المعاني والاوصاف خلالاً للممدوح وضرائب فيه (فترك أن يصرح فيقول : أن السماحة والمروة والندى لمجموعة في بن الحشرج أو مقصورة عليه أو مختصة به وعدل الى الكناية والتلويح فجعل كونها القبة المضروبة عليه كونها فيه فخرج الجزالة الى الفخامة ومن شأن الكناية الواقعة في الصفة أن تجئ على صور مختلفة . وما يفسر ذلك قول يزيد بن الحكم يمدح بن الملهب وهو حبس الحجاج .

أصبح في قيرك السماحة والمجد * وفضل الصلاح والحسب**

اذا نظرنا الى قوله (جبان الكلب) فهو نظير لقوله (زجرت كلابي أن يهر عقولها * لم يكن ذلك (الجبن) الا لان دام الزجر واستمر حتى يخرج الكلب بذلك عما هو عادته من الهرير والنبح . ومما هو اثبات للصفة على طريق الكناية والتعريض قولهم (المجد بين ثوبيه والكرم في برديه) مما يتوصل الى اثبات المجد والكلام للمروح بان نجعلها في ثوبه الذي يلبسه كما توصل زياد الى اثبات السماح والمروة والندى لان الحشرج بان جعلها في القبة التي هو جالس فيها من ذلك **قبله:**

يصير أبا نقرين السماح والمقرونات مهما حيث صار كل ذلك توصل الى اثبات الصفة في الممدوح بإثبات الصفة في الممدوح بإثباتها في المكان الذي يكون فيه الموضوع الذي يجله قد يكون قد يجتمع في البيت الواحد / كنايات المغزى منهما شيء واحد ثم لا تكون أحداهما في حكم النظير للأخرين مثال انه لا يكون قوله (جبان الكلب)نظيراً لقوله (مهزول الفصيل) بل كل واحدة من هاتين الكنايتين أهل بنفسه وجنس على حده وليس لشعب هذا الأصل وفروعه وأمثلته وصوره طرقه حد ونهاية ومن لطف ذلك **قول أبي تمام :**

أبين فما يزن سوى كريم &&& وحسبك أن يذرون أبا سعيد

ومثله وأن لم يبلغ مبلغه قول الأخر &&& متى تخلو تميم من كريم

ومسلمة بن عمرو تميم

ومن كل ذلك تجد أن لا يصلح تقدير الحكاية في (النظم والترتيب) بل لن تعدو الحكاية الألفاظ وأجراس الحروف وذلك أن الحاكي هو من يأتي يمثل ما أتي يمثل ما أتى به المحكي ولا بد ان تكون حكايته فعلاً له . وان يكون لها عملاً عمل مثل عمل المحي عنه مثل ان يصوغ انسان خاتماً فيبرع فيه صنعه . فيعمد اخر فيعمل خاتماً على فلان ، وصفه فلان والنظم والترتيب في الكلام كما بينا عمل يعمله مؤلف الكلام في المعاني لا في الفاظها إذا تعدينا الألفاظ الى النظم والترتيب أدى ذلك الى المحال وهو أن يكون المنشر شعر امرى القيس قد عمل في المعاني وترتيبها واستخراج **الفوائد مثل على امرى القيس اذا انشر قوله :**

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف اعجازاً وناء بكلكل حال الصايغ ينظر الى صوره قد عملها صائغ من ذهب له أو فضة فيجي بمثلها من ذهب الى لَن يكون الراوي مستحقاً لان يوصف بانه (استعار) و (شبه) وان يجعل كالشاعر في كل ما يكون به ناظم وخلاصة القول أنه لا يتأتى لنا لَن ننظم كلاماً من غير روية وفكر فاز كان الراوي شعر أو منشرة يحكي نظم الشاعر على حقيقته وهنا ينبغي أن لا يأتي له راوية شعره الا بروية وما نظر فيه الشاعر من امر (النظم) وسبب دخول الشبه على من دخلت عليه و لا يوقف على الأمور التي يتوخها يكون النظم وهذه شبهه وقد ملكت قلوب الناس وعشعشت في صدورهم وتشبتها نفوسهم وان تلك الشبهة وقد حلت عندهم محل العلم الضروري بحيث أنا أو مات له أي شيء مما ذكرناه اشمان لك واظهر التعجب وتلك جريدة ترك النظر واخذ الشيء من غير معدنه أما المجاز فان العرب لن يذكرون شيء عنه الا قالوا انه ابلغ من الحقيقة فمثلاً (لفظ أسد قد نقل عما وضع له من اللغة ويراد به الشجاع) فكيف يجب أن يكون قولنا اسد ابلغ من شجاع وهكذا الحكم في الاستعارة وان كانت من صفة اللفظ (هذه لفظ مستعارة استعير له اسم الأسد) ولكن القصد بها الى المعنى هنالك بعض الأخطاء الخفية في النظم ومن تلك الأخطاء فانك تنظر في البيت دهراً طويلاً وتفسره ولا تجد في ذلك شيئاً لم تعلمه ويظهر في ذلك البيت امر خفي لم تكن قد علمته مثال لذلك يبين المتنبي عجباً له أحفظ العنان بأنامل ما حفظها الأشياء من عاداتها هذا البيت لا يقع فيه خطأ ولكن في اخره بأن انه قد

أخطا ومن الأفضل أن يقول : (ما حفظ الأشياء من عاداتها فهنا يضيف المصدر الى المفعول لا يذكر الفاعل لان المعني أن ينفي الحفظ عن أنامله جملة ولا يكون منها اصلاً واضافته الحفظ الى ضميره في قوله (ما حفظها الاشياء) يقتضي أن يكون قد اصبت لها حفظاً ونظيراً ذلك انك تقول (ليس الخروج في مثل هذا الوقت من عادتي) وكذلك ليس ذم الناس من شأني) وليس ذمي الناس من شأني فهنا يوجب اثبات الذم ووجوده منك ولا يصح قياس المصدر في هذا على الفعل وكذلك ينبغي أن يجوز (ما من عاداتها حفظها الأشياء ذاك أن اضافته المصدر الى الفاعل يقتضي وجوده وانه منه يبين ذلك انك تقول (أمرته بخروجه غداً) ومما هو **خطأ في غاية الخفاء قوله :**

ولا شك الى خلق فتشمته شكوى الجريح الى الغربان والرخم وا ّذا قلت (لا تنفجر حضر زيد) فهنا يصبح زيداً يفجر ضرباً من الضجر هذا هو موجب العرق ولم يعتبر خصوص وصف واذا كان كذلك اقتضى قوله : (ضحوي الجريح الى الغربان والرخم) يجب أن يكون هنا (جريح) قد عرف من حاله انه يكون له شكوى الى العزبان والرخم) ولك محال ولكن الصحيح أن يقال : (لاتشك الى خلق ، فانك إن فعلت كان مثل ذلك إن تصور في وهمك أن بعيداً دبراً كشف عن جرحه ثم شكاه الى الغربان والرخم).

الفصل الثالث

(أعلام البلاغة في العصر الحديث)

المبحث الأول :

- **على الجارم ومصطفى أمين وكتاب البلاغة الواضحة .**

المبحث الثاني :

- **نظرية النظم .**

المبحث الثالث :

- **البلاغة في العصرين الأموي والعباسي .**
- **أحمد مصطفى المراغي وكتاب علوم البلاغة .**

أتجه علي الجارم ومصطفى أمين في كتاب البلاغة الواضحة إلى الأدب رجاء أن يجتلي الطلاب فيه من محاسن العربية ما في أساليبها من جلال وجمال ويدرسوا من أفانين القول وضروب التعبير ما يهب لهم نعمة الزوق السليم ويربي ملكة النقر الصحيح .

فالبلاغة هي تأدية المعنى الجليل واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة لها في النفس أثر خلاب مع ملاءمة كل كلام للمواطن الذي يلقى فيه والأشخاص الذين يخاطبون فالبلاغة فناً بين الفنون يعتمد على صفاء الاستقرار الفطري ودقة أدراك الجمال وتبين الفروق الخفية بين صفوف الأساليب وللبلاغة يد لا تجحد في تكوين الزوق الفني وتنشيط المواهب الفاترة وليس هناك من فرق بين البليغ والرسام إلا ان هذا يتناول المسموع من الكلام وذلك يشاكل بين المرء والألوان والأشكال أما في غير ذلك فهما سواء فالرسام إذا هم برسم صورة فكر في الألوان الملائمة لها أما البليغ إذا أراد أن ينشر قصيدة أو مقالة أو خطبة فكر في أجزائها ثم دعاء إليه من الألفاظ والأساليب إخفاء على السمعوأكثرها أتصالاً بموضوعه ثم أقولها أثراً من نفوس سامعيه وأروعها

جمالاً . فعناصر البلاغة إذا لفظومعنى وتأليف الألفاظ يمنحها قوه وتأثيراً وحسناً ودقة من اختيار الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام وموافقة وموضوعاته على حسب مواطن الكلام والنزعة النفسية التي تتملكهم فر ُب كلمة حسنت موطن ثم كانت نابية مستنكرة في غيره . وقديماً كره الأدباء كلمة أيضاً وعدوها من الألفاظ الخاصة بالعلماء فلم تجد بها اقلامهم في شعر أو نثر حتى ظهر بينهم **من قال :**

،َّ ورقاَء هَتُوفٍ في الضُّحـــى	***	ات شَجْـــَدَحَتْ في فَنَن
ذكـتْ إلفاً ودهراً ماضيـــــــ	***	حُزْنَاً فَهَاجَتْ شجنـــــي
بُكَائـيرُبَّمـأرَّقَهَـــــــــا	***	بكْـــاها ربُمَّـــا أرَّقنـــــي
ولقد تشكـــو فمـــا أفهُمَهـــــا	***	ولقد أشكـــو فمـــا تفهمُنـــي
أذَّي بالجَوَ ى أعرفُهَـــــــا	***	هي أيضاً بالجَـــى تعرفُنـــي
أتـــراها بالبكاء مولعـــــــٌ	***	أم سقـــا البينُ ما جرَّعَنِـــي[1]

فوضح **(**أيضاً **)** في مكان لا يتطلب سواها ولا يقبل غيرها وكان لها من الروعة والحسن في نفس الأديب ما يحجز عنها البيان أذن لا بد للبليغ أولاً من التفكير في المعاني التي تجيش في نفسه وهذه يجب أن تكون صادقة ذات قيمة وقوة يظهر فيها أثر الابتكار وسلامة النظر ودقة الذوق في تنسيق المعاني وحسن ترتيبها وا ٍذا تم بينها تأليفاً يكسبها جمالاً وقوة فالبلاغة ليست في اللفظ وحده ، وليست في المعنى وحده ولكنها أثر لأن ما لسلامة تأليف هذين وحسن انسجامها . أما عن الأسلوب هو المعنى المصوغ في الألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الفرض المقصود **من الكلام من نفوس سامعيه وأنواع الأساليب ثلاثة :**

1. الأسلوب العلمي :

هو أهدأ الأساليب وأكثر ها احتياجاً إلى المنطق السليم والفكر المستقيم و أبعدها عن الخيال الشعري لأنه يخاطب العقل . ويناجي الفكر ويشرح الحقائق العلمية التي لا تخلو من غموض وحفاء وأظهر ميزات هذا الأسلوب الوصف لذلك يجب أن يعني باختيار الالفاظ الواضحة الصريحة في معناها الخالية من الاشتراك اللفظي و لأ يؤلف هذه الالفاظ في سهولة وجلاء حتى تكون ثوباً شفاً

[1]/ البلاغة الواضحة على الجارم ومصطفى أمين ، ص 5 – 28

للمعنى المقصود ولا تصبح مناراً للظنون ومجالاً للتوجيه والتأويل ويحسن التخلي عن المجاز و البديع في هذا الأسلوب ،إلا ما يجي من ذلك عفواً من غير أن يمس أصلاً من أصوله أما التشبيه الذي يقصد به تقريب الحقائق إلى الأفهام وتوضيحها بذكر مماثلها فهو في هذا الأسلوب مقبول .

2. الأسلوب الأدبي :

الجمال أبرز صفاته وأظهر مميزاته ومنشأ جماله ما فيه من خيال رائع وتصوير دقيق وتلمس لوجوده الشبه البعيدة بين الأشياء والباس المعنوي ثوب المحسوس وا ظهار المحسوس في صورة المعنوي فالمتنبي لا يرى الحمى الراجع كما يراها الأطباء أثراً لجراثيم تدخل الجسم فترفع حرارته ، تسبب رعداً وقشعريرة ، حتى إذا فرغت نوبتها تصبب الجسم عرقاً ولكنه يصورها كما تراها في **الأبيات التالية :**

رَتي كَأَنَّ بِهـ حَيـــــاءً *** تَزورُ إِلاّ في الظَلام
بذلك لها المطاف والحشـــايا *** فعافتها وباتت في عظامي
يضيق الجلد عن نفسي وعنها *** فتــوسعه بأنواع السقـــام
كأن الصبح يطردها فتجــري *** مدامعـــــها بأربعة سجام
اراقب وقتها من غير شــوق *** مراقبـــة المشوق المسهام
ويصدق وعرها والصدق شر *** اذا القاك من الكرب العظام
ابنت الدهر عندي كل بنـت *** فكيف وصلت انت من الزحام

فالأديب هنا يتظاهر بأنكار أسباب حقائق العلم ويلتمس لها من خياله أسباب تثبت دعواه الأدبية وتقوى الفرض الذي ينشده فكلف البدر الذي يظهر في وجهه ليس ناشئاً عما فيه من جبال وقيحان جافة كما يقول العلماء لأن المعري يرى لذلك سبباً آخر فيقول في الرثاء ، وما كلفه البدر القديم في حديثه ولكنها في وجهه أثراً اللطم أما اظهار القوة في هذا الأسلوب يتبين في قول المتنبي في **الرثاء:**

ما كنت أمل قبل نفسك ان أرى *** رضوى على ايدي الرجال يسير

أما ابن المعتز يقول :

قد ذب الناس ومات الكمال *** وصاح صرف الدهر أين الرجال
هذا أبو العباس في نفسه *** قوموا انظروا كيف يسير الرجال

نجد أن الأسلوب الأول هادئ والثاني شديدة القوة وربما كانت نهاية قوته في قوله ، (وصاح صرف الدهر اين الرجال) ثم قوله (قوموا أنظروا كيف تسير الجبال يجب أن كون هذا الأسلوب جميلاً رائعاً بديع الخيال وضحاً قوياً وأن الشعر والنثر الفني هيما موطنا هذا الأسلوب ففيهما يزدهر وفيهما يبلغ قمة الفن والجمال .

3. الأسلوب الخطابي :

في هذا الأسلوب تبرز قوة المعاني وقوة الحجة والبرهان وقوة العقل الخصيب وهنا يتحدث الخطيب أي أرادة سامعيه لإنارة عزائمهم واستنهاض همهم ولهذا الأسلوب وجماله ووضوحه شأن كبير في تأثيره ووصوله إلى قراراه النفوس ، ومما يزيد في تأثير هذا الأسلوب منزلة الخطيب في نفوس سامعيه وقوة عارضته ، وسطوع حجته ، ونبرات صوته ، وحسن القائه ومحكم اشارته ومن أطهر مميزا هذا الأسلوب التكرار واستعمال المترادفات وضرب الامثال واختيارا لكلمات الجذلة ذات الرنين ، ومن خير الأمثلة لهذا الأسلوب خطبة على بنابي طالب رضي الله عنه لما أغار سفيان بن عوف الأسدي على الأنبار وقتل عاملة عليها .

هذا أخو غامد قد بلغت خيله الأنبار وقتل حسان البكري وأزال خليكم عن مسالحها وقتل منكم رجالاً صالحين . وقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاصرة فينزع حجلها وقلبها ورعاشها ثم انصرفوا وأخرين ما نال رجلاً منهم كلم ولا أريف لهم دم ، فلو أن رجلاً مسلماً مات من بعد هذا آسفاً ما كان به ملوماً بل كان عندي جديراً .

فوا عجباً منوجد هؤلاء في باطلهم وفشلكم عن محكم قبحاً لكم حيث صرتم غرضاً يرمى ، يغار عليكم ولا تغيرون ، وتفزون ولا تفزون ، ويحمي الله وترضون نجد أن ابن أبي طالب تدرج في إشارة شعور سامعيه حتى وصل إلى القمة فانه أخبرهم بخذل الأبار أولاً ، ثم بقتل عامله .

أما في الفقرة الثانية توجه إلى مكان الحميه فيهم ومثار العزيمة والنخوة من نفس كل عربي كريم إلا وهو المرأة فالعرب تبذل أرواحها رخيصة في الزود عنها والدفاع عن خدرها فقال أنهم استباحوا حماها وانصرفوا آمنين أما الفقرة الثالثة اظهر الدهش والحيرة من تمسك أعرائه بالباطل ومناصرته وفشل قومه عن الحق وخذلانهم، ثم بلغ الغيظ منه مبلغه فعيرهم بالجبن والخور ويجد هذا من أمثله الأسلوب الخطابي التي توضح أسرار البلاغة في الكلام وأنواع اساليبه .

نجد أن الكتاب قسم إلى ثلاثة علوم هي علم البيان وعلم المعاني وعلم البديع .

علم البيان : يحتوي على التشبيه والحقيقة والمجاز والاستعارة والمجاز المرسل والكناية أما علم المعاني يحتوي على تقسيم الكلام الى حبر وأنشاء القصر والفصل والوصل والإيجاز والإطناب والمساواة .

أما علم البديع يحتوي على أولاً المحسنات اللفظية ، الجناس والاقتباس والسجع المحسنات المعنوية ، والتورية ، الطباق ، المقابلة ، وحسن التعليل ، تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه ، أسلوب الحكيم

علم البيان :

هو وسيلة إلى تأدية المعنى بأساليب عره بين تشبيه ومجاز وكناية .

أمثلة لعلم البيان :

المجاز المرسل : قال المتنبي :

1. له أياد على سابقه أعد منها ولا أعددها .
2. وقال تعالى : (وينزل لكم من السماء رزقاً ... الخ)
3. وكم بعثنا الجيش جراراً وأرسلنا العيون نستخلص من هذه الأمثلة أن المجاز المرسل كلمة استعملت في غير معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى

الأصلي، من علاقات المجاز المرسل (السببية– الجزئية – الكلية – اعتبار ما كان – اعتبار ما سيكون - المحلية – الحالية) .

أما المجاز العقلي من أمثلته :

1. قال المتنبي يصف ملك الروم بعد أن هزمه سيف الدولة :

يمشي به العكاز من الدير تائباً *** وقد كان يأبى مشي أشقر أجردا

2. بنى عمرو بن العاص مدينة القسطاط .

3. نهار الزاه صائم وليله قائم .

نجد أن جميع هذه الأفعال أسند أي غير فاعله فإن العكاز لايمشي والأمير لا يبني و انما يسير صاحب العكاز ويبني عمال الأمير ولكن لما العكاز سبباً في المشي والأمير سبباً في البناء أسند الفعل إلى كل منهما ومن ذلك نستخلص أن المجاز العقلي هو أسناد الفعل أو ما في معناه الى غير ما هو له العلاقة مع قرينه مانعه من إرادة الاسناد الحقيقي .

الإسناد المجازي يكون الى سبب أوزانه أو مكانه أو مصدره أو بإسناد المبنى للفاعل الى المفعول او المبني للمفعول أبي الفاعل .

أما علم المعاني :

يعني تأديةالكلام مطابقاً لمقتضى الحال مع وفاته بغرض بلاغي يفهم ضمناً من سياقه وما يحيط به من قرائن ومن مواضيعه .

القصر :

الأمثلة :

1. لا يفوز الا المجد .
2. أنما الحياة تحب .
3. ما الأرض ثابته بل متحركة .
4. ما الأرض ثابته لكن متحركة .
5. الأرض متحركة لا ثابته .
6. على الرجال العاملين نثني .

في هذه الأمثلة نجد أن كل مثال منها يتضمن تخصيص أمر بأخر فالمثال الأول يفيد تخصيص الفوز بالمجد والمثال الثاني يفيد تخصيص الحياة بالتعب بمعنى أن الحياة وقف على التعب لا تفارقه إلى الراحة .

وهكذا بقية الأمثلة ، أما وسائل التخصص والأمثلة الباقية هي أنما والعطف بلا أو بل أو لكن وتقديم ما حقه التأخير ويسمى علماء المعاني التخصيص المستفاد من هذه الوسائل بالقصر ويسمون الوسائل نفسها طرق القصر .

ومن ذلك نستخلص الآتي :

القصر / تخصيص أمر بأخر بطريق مخصوص طرق القصر المشهورةأربح .

النفي والاستثناء هنا يكون المقصور عليه بعد أداة الاستثناء انما ويكون المقصور عليه مؤخراً وجوباً

العطف بلا كان أو بل أو لكن فان كان العطف بلا كان المقصور عليه مقابلاً لما بعدها وأن كان العطف ببل أو لكن كان المقصور عليه ما بعدها .

أثر علم المعاني في بلاغة الكلام :

تتلخص دراسة علم المعاني في أمرين :

الأول أنه يبين وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين والمواطن إلى يقال فيها : فالقول لا يكون بليغاً حتى يلائم المقام الذي قيل فيه ويناسب حال السامعين الذي ألقى عليه وقديماً قال العرب لكل مقام مقال . فقد يؤكد الخبر أحياناً كما علمت وقد يلقيبغير توكيد على حال السامع وإذا نظرنا إلى قوله تعالى في شأن رسل عيسى عليه السلام حين بعثهم إلى أهل أنطاكية ؟؟؟(وأضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذا جاءها المرسلون ، إذا أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث ، فقالوا أنا اليكم مرسلون قال ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء أن أنتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) [1] .

فإن الرسل أحسوا أنكرهم في المرة الأولى أكتفوا بتأكيد الخير (بيان) فقالوا (إنا إليكم مرسلون) فأكدوا بالقسم وأن واللام .

كذلك يوجب علم المعاني أن يخاطب كل انسان على قدر استقرار في الفهم ونصيبه من اللغة والادب فلا يجيز أن يخاطب العامي بما يخاطب به الأديب المعلم بلغة العرب و أسرارها .

أما الأمر الثاني الذي يبحث فيه علم المعاني فهو دراسة ما يستفاد من الكلام ضمناً بمعونة القرائن فالكلام يفيد بأصل وصفه ومعنى ولكنه قد يؤدي إليك معنى جديد يفهم من السياق وترشد إليه الحال التي قبل فيها ويرشد علم المعاني إلى القصر قد ينجو فيه الأديب مناحي شتى كان يتجه إلى القصر الإضافي رغبة في المبالغة فيقول المتفائل .

وما الدنيـــــا سوى حلم لذيذ *** تنبه تباشير الصبـــــــاح

أما المتشائم يقول :

هل الدهر إلا ليلة طال سهـرها *** تنفس عن يوم أحم عصـــيب

وقد يكون من مرامي القصر التعريض كقوله تعالى ؟؟ : (إنما يتذكر أولوا الألباب) إذا ليس الفرض من الآية الكريمة أن يعلم السامعون ظاهر معناها ولكنها تعريض بالمشركين وأنهم لفرط عنادهم و عليه الهوى عليهم في حكم من لا عقل له .

[1]/ سوره يس الآية (14)

ويهدي علم المعاني إلى أن من أغراض الفصل في بعض أنواعه تقرير المعنى وتثبيته في ذهن السامع ولعل في هذه الكلمة الموجزة مقنعاً في بيان ما لعلم المعاني من الأثر في بلاغة الكلام وما يمد به الناشئ في الأدب من أساليب وما يرسم له من طريق لحسن تأليفها واختيار الأحوال والمواطن التي تقال فيها .

علم البديع :

دراسة علم البديع لا تتناول مباحث علم البيان ولا تنظر في مسائل علم المعاني فهي دراسة لا تتعدى ترتيب الألفاظ أو المعاني بألوان بديعية من الجمال اللفظي أو المعنوي فهو العلم الجامع لهذه المباحث ويشمل على محسنات لفظية ومعنوية ومن المحسنات اللفظية .

الاقتباس :

أمثلة :

1. قال عبد المؤمن الاصفهاني [1] : (لا تعزنك من الظلمة كثرة الجيوش أنما تؤخرهم ليوم تشخيص فيه الأبصار) .
2. وقال بن سناء الملك : رحلوا فلست مسائلاً عن دارهم (أنا باخع نفسي على آثارهم) .
3. وقلا أبو جعفر الأندلسي :لا تعاد الناس في أوطانهم فلما يرعى غريب الوطن وا ِذا ما شئت عيشاً بينهم (خالق الناس بخلق حسن) العبارتان اللتان بين الأقواس في المثالين الأول والثاني مأخوذتان من القرآن الكريم والعبارة التي بين القوس في المثنى الثالث من الحديث الشريف وقد ضمن الكاتب أو الشاعر كلامه هذه الآثار الشريفة من غير أن يصح بأنها من القرآن أو الحديث وغرضه من هذا التضمين أن يستعيد من قوتها ، وأن يكشف عن مهارته وأحكام الصلة بين كلامه والكلام الذي أخذه وهذا النوع يسمى اقتباسوا ِذا تأملت رأيت ان المقتبس قد يغير قليلاً من الآثار التي يقتبسها كالمثال الثاني :

[1]/ أديب مشهور متصوف له كتاب يرعى اطباق الذهب عارض بها الزمخشري .

نستخلص من ذلك أن الاقتباس تضمين النثر أو الشعر شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف من غير دلالة على أنه منهما ويجوز أن يغير من الأثر المقبس قليلاً أما المحسنات بالمعنوية.

الطباق : (أمثله) :

1. قال تعالى : (وتحسبهم ايقاظاً وهم رقود) [1]
2. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ؟؟؟ (خير المال أعين ساهره لا عين نائمة) .
3. **وقال السموأل :**

إِن شِئنا عَلى الناسِ قَولَهُم *** يُنكِرونَ القَولَ حينَ نَقولُ

في الأمثلة السابقة وجرت كلاً منها مشتمل على شيء ومرة فالمثال الأول مشتمل على الكلمتين (أيقاظاً) و (رقود) أما المثال الثاني مشتمل على الكلمتين (ساهره) (نائمة) .

نستخلص من ذلك أن الطباق الجمع بين الشيء وضده في الكلام وهو نوعان :

أ- طباق الإيجاب : وهو مالم يختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً .

ب. طباق السلب : وهو ما أختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً .

هو أبو هلال الحسن بن عبد الله بن مسهل بن سعيد بن يحي بن مهدان العسكري أنتقل إلى بغداد والبصرة وخلف كثيراً من الكتب منها ، جمهر ة الأمثال ، والصناعتين وديوان المعاني ، والأوائل وغيرها مما يدل على إطلاع واسع وذهن ناقد ، أما كتابه الذي سوف أتحدث عن القليل منه والذي بعنوان : (الصناعتين في الكتابة والشعر) فقد أستعان في تأليفه بجل ما كتب سابقوا ممن عالجوا مثل موضوعه ونذكر من هؤلاء ابن سلام والحافظ وقدامه وقد استطاع أبو هلال أن يعرض لنا زبدة هذه الكتب في كتابه الصناعين حتى أنه ليجعلنا نكاد نستغني عن بقية ما ألفه . وقد تناول أبو هلال العسكري تفسير ما جاء عن الحكماء والعلماء في حدود البلاغة منهم إسحق

[1]/ سوره الكهف الآية (18) .

بن حسان يقول : (لم يفسر أحد البلاغة تفسير بن المقفع ، إذا قال البلاغة اسم لمعاني تجري في وجوه كثيرة ، منها ما يكون في السكون ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون شعراً ومنها ما يكون سجماً وربما كانت رسائل .

فقوله : (منها ما يكون في السكوت)فالسكوت يسمى بلاغاً مجازاً وهو في حالة لا ينجح فيها القول ولا ينفع فيها إقامة الحجج أما عند جاهل لا يفهم الخطاب أو عند وضيح لا يرهب الجواب فإذا كان الكلام يجري من الخير ، أو يجلب الشر فالسكوت أولى كما قال أبو العتاهية[1] .

فأما البصر بالحجة فمثل ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه بن عسل قال : (الهيثم بن عر ى : أنبأني عطاء بن مصعب ، قال : كان أبو الأسود شيعة لعلى بن طالب رضي الله عنه وكان جيرانه عثمانية فرموه يوماً فقال انزموننى ؟ قالوا بل الله يرميك .قال كذبتم ، إنكم تخطئون ، ولإن الله لو رماني لما أخطأ وقال بعضهم لأبي على محمد بن عبد الوهاب : ما الدليل على أن القرآن مخلوق قال : إن الله قادر على مثله فما أحار السائل جواباً أما أبو هلال : فقوله : (أول البلاغة اجتماعآلة البلاغة) وأول الآتة البلاغية جودة القربجه وطلاقة اللسان وذلك من فعل الله تعالى ، لا يقدر من إذا خلا بنفسه وأعمل فكرة التي بالبيان العجيب والكلام البديع المصيب واستخرج المعنى الرائق جاء بالفظ الرائع وجاء بالفظ الرائع فحق هذا الا يتعرض لارتجال الخطب ولا يجاري أصحاب البداية في ميران القريض ويكتفي بنتائج فكره والناس في صناعة الكلام على طبقات منهم من إذا حاور وناظر بلّغ و أجاد إذا كتب واملي واخل وتخلف وإذا حاور أو كتب قصر ومنهم من إذا كتب أحسن ومنهم من يسئ فيها ملها فأحسن حالات المسيء الإمساك ، وأحسن حالات المحسن التوسط فان الإكثار يورث الأملاك وقلما ينجو صاحبه من الذلل والعيب والخطل ومن تقام آلات البلاغة التوسع في معرفة العربية . ووجوه الاستعمال لها والعلم بفاخر الالفاظ وساقطها ومتخيرها وردئها ومعرفة المقامات وما يصلح في كل واحد منها من الكلام والمقدم في وضعه الكلام هو المستولي عليه من جميع جهاته المتمكن من جميع أنواعه وبهذا فضلوا جريراً على

[1]/ من ديوانه : 55 (2) من كتاب الصناعتين في (الكتابة والشعر) تصنيف أبو هلا العسكري دار الفكر العزى ، ص 20 .

الفرزدق وقالوا : كان له في الشعر ضروب لا يعرفها الفرزدق وماتت امرأته النوار فناح عليها بشعر جرير :

لولا الحياء لها جنى إسبعارولزرت والحبيب يزار

وكان البحتري يفضل الفرزدق على جرير ويزعم أنه يتعرف من المعاني فيما لا يتصرف فيه جرير ويورد منه في شعره كل قصيده خلاف ما يورده في الأخرى وسئل بعضهم عن أبي نواس ومسلم فذكر أن أبا نواس أشعر لتصرفه في أشياء من وجوه الشعر وكثره مذاهبه فيه قال بعضهم البلاغة صواب في سرعة جواب والعي إكثار في هزار وبطاء يردفه أخطاء . وقال بعضهم لست ممن يوهم بجهله ، ويظن بقلة عقله . إن الديانة والأمانة لنزاهة ، والصيانة انما هي في تشمير ثوبه وا ٍخفاء شاربه وكشف عن ساقه وهود بأطماره وأنمال خفه وترقيح ثوبه وخفه وطئه ، ويأخذ على علمه ويطلب الدنيا بدينه ولا يرفح من عظمته وكبريائه ولا يكلم الناس من تصنيعه ورائه فهذا الكلام وأمثاله في طول النفس يدل على اقتدار المتكلم وفضل قوته في صرف ويكون سليماً من التكلف فالتكلف طلب الشيء بصعوبة للجهل فالكلام إذا جمع وطلب بتعب وجهد فتنولت الفاظه فهو متكلف ، أما قوله برياً من سوء الصنعة يتصرف على وجوه منها التقسيم وفساد وقبح الاستعارة والتطبيق وفساد السبح والسبك وروي إنما أنه قال : برياً من الصنعةفالصنعة النقصان عن غاية الجودة هو مقل قول الغائب من هذا الأمر بعد عمل معناه قال الفرزدق .

القصائد تصنعاً ، أي معاباً ومنقصة عن حر الإحسان (وجعل الجاحظ شعر الخطيئة ونهير وزهير من الشعر المصنوع لأن كل واحد منهما كان يصنع القصيدة في مره فكان يستويأبياتها ولا يتفاضل إلا في القليل) وقوله بعيداً عن التعقيد والإغلاق التلحين سواء وهو استعمال الوحش وشدة تعليقه الكلام بعضه ببعض وقد ذكرنا أمثله ذلك في ما تقدم ونذكر هنا شيء منها فمثال الوحش قول بعض الأمراء وقد أعتلت أمه فكتب دفاعاً وطحها في المسجد الجامع بمدينة السلام : حين أمرؤ ورعي ، دعاء لا مرأة انقلحةمقتئنه قد منيت بأكل الطرموق فأما بها من أجله الاستئصال ، أن يمن الله عليها بالأطر غشاش فكل من قرأ رقعته دعاء عليها ولعنه ولعن أمه .

ومثال الشديدالتعليقة بعض الفاظه ببعض حتى يستبهم :

المعنى قول أبي تمام :

جاري اليه البين وصل خريره *** ماشت اليه المطل مشي الأكيد
يا يوم شر يوم لهوى لهـــوه *** يصيبنا بتـــى وأذل عـن تجلد
يوم افاض جوي اغاض تخزيا *** خاض الهوى بحري حجاه المزيد

وقال العربي : البلاغة التقرب من المعنى البعيد والتباعد المزيد حشو الكلام وقرب المأخذ ويجاز في صواب وقصر إلى الحجه وحسن الاستعارة ومثله قول الآخر البلاغة تقريب ما بعد الحكمة بأيس الخطاب أما أبو هلال والتقرب من المعنى البعيد وهو أن يعمد الى المعنى اللطيف فيكشفه وينفي الشواغل عنه ، فيفهمه السامع من غير فكر فيه وتدبر له ، مثل قول الأول في أمرأه .

لم ندر من الدنيا وما طيها *** وحسنها متى ما رأيناها
أنك لو أبصـرتها ساعـة *** أجللتهـــا أن تتمناهـــا

أما على ابن أبي طالب رضي الله عنه يقول:(البلاغة افصاح قول عن حكمة مستخلفه وأبانه عن مشكل ومثله قول الحسن) البلاغة إيضاح الملتبسات وكشف عوار الجهارات ، بأسهل ما يكون من العبارات وقريب منه قول الحسن بن علي رضي الله عنهما : البلاغة تقريب بعيد الحكمة بأسهل العبارة .

وقال ابن المقفع : البلاغة كشف ما غمض في الحق وتصوير الحق في صورة الباطل ، والذي قاله أمر صحيح لا يخفى موضع الصواب فيه على أحد من أهل التميز والتحصيل وذلك أن الأمر الظاهر الصحيح الثابت المكشوف ينادي على نفسه بالصحة ولا يحوج الى التكلف لصحته حتى يوجد المعنى فيه خطيباً ختاماً نجد أن أعلى رتب البلاغة أن يحتج للمذموم حتى يخرجه في معرض المحمود ، وللمحمود حتى يصيره في صورة المذموم ، وقد ذم عبر الملك بن صالح المشورة وهي ممدوحة بكل لسان فقال ما استشرت أحداً الا تكبر على وتصاغرت له ودخلته العزة ودخلتني الذلة ، فعليك بالاستيراد فان صاحبه جليل في العيون ، مهيب فيالصدور وإذا افتقرت

إلى العقول حقرتك العيون فتضحضح سأنك ورجفت بك اركانك واستحقرك الصغير واستخف بك الكبير وما عز سلطان لم يخنه عقله عن عقول .

ومدح بعضهم الموت ،ألف فضله لا تفرق فيه أمان لقائه بلقائه وفراق كل معاش لا ينصف نجد أن المنفعة بها للعالم دون المتعلم والسابق دون اللاحق وربما اعترض الشك فكان المنفعة بها للعالم دون المبرز فسقطت عنه معرفة كثير منها وبذلك نستغني عن جميع ما صنف في البلاغة وسائر ما ذكر من أصناف البيان والفصاحة .

تناول المراغي علوم البلاغة ووضعها في تفاوت أولاً مراتب البلاغة .

بلاغة الكلام متفاوتة لان الألفاظ إذا ركبت لإفادة المعاني المرادة منها حصل لها بالتركيب صورة مختلفة لا يحصرها العد وكلما كان المتكلم أكثر مراعاة للمقتضيات والاعتبارات ازداد الكلام حسناً وكلما كان أوفى بها كان أبلغ أو الكس إذا قل وفاؤه بتلك الخصوصيات المعتبرة عند البلغاء ، كان أقل مرتبه في البلاغة والمرتبة العلياء وما يقرب منها هي مرتبة المعجز ، وهو كلام الله تعالى الذي عجز البشر قاطبه أن يأتوا بأقصر سوره من مثله وقد نزل من أرقى العصور فصاحة وأكملها بلاغة ثم يليه كلام الرسول (ص) فقد أوتي من جوامع الكلم ما حارث في أمره جهابذة الفصاحة وأساطين البلاغة ثم كلام البلغاء مت العرب جاهلين و إسلاميين متممات .

مما هو معرف في تعريف الفصاحة والبيان ما بعثور الكلام من العيوب ويزري بقيمته ويحط من قدره **ولذلك لا بد من تداوي هذه العيوب فنقول مثلاً :**

أ/ مخالفه القياس : يمكن تجنبها بالاطلاع على علم التصريف فهو الكفيل بمعرفة سنن المفردات العربية نجد أن نافع أبن أبي نعيم فهو من القراء السبعة وأكابرهم قدر قال في معايش ، معائش بالهمز مع الياء فيها ليست زائدة لأنها من العيش فعيب عليه ذلك المحذوف من زال ما كان في الكلام من البهجة والطلاوة وهو على ضر بين .

1. ضرب يظهر فيه المحذوف عند الاعراب كقولهم (أهلاً وسهلاً) فان نصب الأهل والسهل يدل على ناصب محذوف يقدر ينحو جئت أهلاً ونزلت مكاناً سهلاً .
2. ضرب لا يظهر بالإعرابوإنما تعلم مكانه إذا أنت تصفحت المعنى فوجدته لا يتم إذا لم يراع المحذوف كما يقال فلان يحل ويعقد يعطي ويمنح إذا المعنى يحل الأمور ويعقدها ويعطي ما يشاء ويمنح [1] .

أما في المسند إليه :

نجد أن المسند إليه يحذف لأغراض أهمها :

1. ظهور بدلالة القرائن عليه ، فذكره بعد حينئذ عبثاً في الظاهر كقوله تعالى : (فضحكن وجها وقال عجوز عقيم) [2] أي أنا .
2. ضيق المقام عن إطالة الكلام بسبب التوجع والتضجر نحو قال لي كيف أنت قلت عليك سهر دائم وحزن طويل .
3. إحفاء الأمر عن غير المخاطب ، كما تقول (انتهت) أي المسألة المعهودة بينكما .
4. خوف فواتفرصة سانحة كقول من رأي طياراً مقبلاً طيار .
5. المحافظة على سجع أوقا فيه فالأول من نحو طابت سريرته حمدت سيرته أي حمد الناس سيرته

أما في حذف المسند : يحذف المسند لأغراض منها :

1/ قصر الاختصار والاحتراز عن البحث بناء على الظاهر مع ضيق المقام بسبب التحسر والتوجع.

[1]/ علوم البلاغة ، أحمد مصطفى المراغي ، ص 5 .
[2]سوره الذاريات الآية (30) .

2/ الثقة بشهادة العقل دون الاعتماد على اللفظ كما تجيب من قال هل لك أحد ؟ أن الناس ألب عليك (إن محمداً وأن علي) أي أن لي محموداً وأن لي علي .

3/ الدلالة على الاختصاص ، نحو قل لو أنتم تملكون خزائن رحمه ربي تقديره لو تملكون بالتكرار للتوكيد ثم حذف الفعل فالفضل الضمير وأفاد الاختصاص ولا بد للحذف من قرينة (على المحذوف ليفهم المعنى كوقوع الكلام جواباً عن سؤال محقق نحو (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) [1] .

أما في حذف المفعول :

للفعل رابطة بكل من الفاعل والمفعول وا ٍن تنوعت جهتها فارتباطه بالفاعل لإفادة وقوعه منه لا افادة وجوده في نفسه فحسب وارتباطه بالمفعول لبيان وقوعه عليه فالفعل المعتدي إذا أسند إلى فاعله ولم يذكر له مفعول .

1. أن يكون الغرض إثبات المعنى في نفسه للفاعل من غير اعتبار عمومه وخصوصه ولا اعتبار تعلقه بمن وقع عليه ، وحينئذ يكون المعتدي بمنزله اللازم فلا يذكر له مفعول لئلا ينوهم ان الغرض الإخبار به .
2. أن يكون الغرض افادة تعلقه بمفعول ، ويجب تقديره بحسب القرائن ويحذف حينئذ لراع من **الرواع الآتية وهي :**

1/ البيان بعد الابهام ليكون أوقع في النفس كما فعل في المشيئة إذا لم يكن في تعلقه بمفعوله غرابة فتقول : لو شئت جئت ولو شئت لم أجي ومن ذلك قوله تعالى : (فلو شاء لهداكم أجمعين)[2]

[1]/ سوره الزمر الآية (31) .
[2]/ سوره الأنعام الآية (149) .

2/ دفع توهم السامع من أول وهله أراده شيء غير ما هو مراد كقول البحتري يذكر ذود الممدوح ومساعدته إياه :

وكم زدت عني من تحامل حادث وسورة أيام حزن الى العظم

3/ استهجان ذكره ، كقول عائشة رضي الله عنها ما رأيت منه ولا رأي مني (تعني العورة) وكثير من الأغراض السابقة تجري هنا كإخفائه على غير السامع أو التمكن من أنكاره عند الحاجة أو أدعاء تعينه أو نحو ذلك نجد أن أحمد المراغي فذ تناول كتابه ولخصه على ثلاث علوم رئيسية : البيان ، المعاني ، البديع .

أولاً : علم البيان :

لغة الكشف والإيضاح يقال : فلان أبين من فلان أي أوضح منه كلاماً واصطلاحاً – علم يستطاع بمعرفته ابراز المعنى الواحد في صورة مختلفة وتراكيب متفاوتة في وضوح الدلالة مع مطابقة كل منها مقتضى الحال . وموضوع علم البيان اللفظي العزى من حيث التفاوت في وضوح الدلالة بعد رعاية مطابقته مقتضى الحال .

أما فائدة : محصورة في المجاز على أنحائه ، أي أنه بمعنى أعم يشمل الكناية وأن التشبيه أنما ذكر فيه لبناء الاستعارة عليه والمجاز ثروة كبيرة في اللغة من جهات عدة منها :

1. الإكثار من الألفاظ وتعدد الوضع تفنناً في التعبير كتسمية المطر بالسماء والنبات بالغيث على سيأتي .
2. التذرع أي الوضع فيما لم يوضح له لفظ من المحسوسات كقولهم ساق الشجرة وابط الوادي وعنق الأبريق وذوابة الرحل [1].

[1]/ الجلدة المعلقة على آخر الرحل .

3. الرمز الى حقائق المعاني كقولهم : سافر ولا ظهر له وفلان يملك رقبة أي عبراً فالمجاز اذا غذاء اللغة و الروح الذي لا تحيا بدونه ولا قوام لها إلا به ولولاه ما كنا نرى فيها البهجة والجمال اللذانتذوقهما كل ناطق بالضاد .

(واضحة) أول من دون مسائل هذا العلم أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه (مجاز القرآن) وتبعه الجاحظ وبن المعتز وقدامه بن جعفر وأبو هلال العسكري ومازال يشدو شيئاً فشيئاً حتى جاء الإمام عبد القاهر فاحكم أساسه وشيد بناءه ونجد ان علم البيان يترتب من عدة أبواب منها:

الكناية :

فالكناية لغة : أن تتكلم بشيء وتزيد غيره وقد كنون بكذا أو كنت إذا تركت التصريح به أنشر الجوهري ، وأي لكن عن قدور بغيرها وأعرب لحياناً بها وأصارح وفي الاصطلاح تطلق على **معنيين**

1. المعنى المصدري الذي هو فعل المتكلم أعنى ذكر اللفظ الذي يراد لازم معناه مع جواز أرادته معه .
2. اللفظ المستعمل فيما وضح له لكن لا ليكون مقصود بالذات بل لينتقل منه إلى لازمه المقصود لما بينهما من العلاقة واللزوم العرفي وعلى هذا التعريف فهي حقيقة لاستعمال اللفظ فيما وضح له لكن لا لذاته فهو مناط الاثبات والنفي والصدق والكذب .

تفسير هذا إن العرب تلفظ احياناً بلفظ لا تزيد منه معناه الذي يدل عليه بالوضع بل يزيد منه ما هو لاز م له من وجود بحيث إذا تحقق الأول تحقق الثاني عرفاً وعادة فنقول : فلان رحب الصدر وتقصد أنه حليم لما في صدره من السعة لاحتمال كثير من الحقائق والاضغان كما يحتمل الصندوق الواسع كثيراً من المتاع الماعون .

تنقسم الكناية من حيث المكنى عنه الى ثلاثة أقسامهي :

1. كناية يطلب بها صفة من الصفات كالجود والكلام ودماثة الأخلاق الى غير ذلك وهي :

أ/ قرينة وهي ما ينقل منها إلى آل طول مطلوب بها بلا واسطة سواء أكانت واضحة كقولهم كناية عن القامة طويل النجاد ، بعيدة وهي ما ينقل منها إلى المطلوب بها بواسطة كقولهم في الكناية إلى المضياف : وهو كثير الرماد ، فانه ينقل الذهن من كثرة الرماد إلى كثرة الطبائخ ومنها إلى كثرة الرماد ثم إلى الضيافة وهي المقصودة ونظيره قول الأخر .

2/ كناية يطلب بها موصوف نحو قولك كناية عن الأسد : قتلت ملك الوحوش وشرطها الاختصاص بالمعنى عنه ليحصل الانتقال منها إليه وهي ضربان .

أ. ما هي معنى واحد بأن يتفق في صفة اختصاصها بموصوف معين فتذكر تلك الصفة ليتوصل بها إلى ذلك الموصوف كجامع الاضفان كناية عن القلوب .

في قوله الضاربين بكل أبيض مخزم &&& والطاعنين مجامع الأضفان

ب. ما هي مجموع معان بأن نؤخذ صفة فتصنفإلى صفة ثانية ثم ثالثة فتكون جملتها يختص بالموصوف .

3/ كناية يطلب بها نسبة إلى : ثوب أمرلأمر أو نقبة عنه كما يقولون المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه فهم لم يصرحوا بثبوت المجد والكلام بل كانوا عن ذلك بكونها بين (برديه وبين ثوبيه).

أقسامها :

من حيث الوسائط تنقسم الكناية باعتبار الوسائط إلى أقسام أربعة نذكر منها أثبت أقلها :

1. **تعريض** : وهو خلاف التصريح واصطلاحاً ما أشير به إلى غير المعنى بدلالة السياق :

كما نقول المسلم من سلم المسلمون من لسانه فالمعنى الأصلي (انحصار الإسلام فيمن سلم الناس من يده ولسانه) .

2. **تلويح** : وهو لغة أن تشير إلى غيرك من بعد واصطلاح كناية كثرت فيها الوسائط بين اللازم والملزوم نحو : (أولئك قوم يوقدون نارهم في الوادي) .

كناية عن بخلهم قد انتقل من الايقاد في الوادي المنخفض إلى إخفاء النيران ومن هذا إلى عدم رغبتهم في اهتداء ضيوفهم اليها ومنذ إلى بخلهم ونحوه ما تقدم من قولهم : وهو جبان الكلب ومهزول الفيصل .

ثانياً : علم البيان :

في اصطلاح المتقدمين اسم جامع للعلوم الثلاثة (المعاني والبيان والبديع) وعليه قول ابن المعتز (البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول) ، بعض الأئمة يسمى الثلاثة علم البديع لما فيها من بديع الصفة كما يسمي بعضهم الأول علم المعاني ، والأخير علم البيان .

ثالثاً :

للمتقدمين في حدود البلاغة ورسومها كلمات عدة ومجملة تقرب لك بعضاً مما فصلناه ، منها قول محمدين الحنفية البلاغة قول تضطر العقول إلى فهمه بأيسر العبارة وقول المعتز : (البلاغة البلوغ إلى المعنى ولما بطل سفر الكلام وقول ابن الإعرابي : البلاغة التقرب من البقية ودلالة قليل على كثير وقول بعضهم هي قلة اللفظ ، وسهولة المعنى وحسن البديهة .

علم المعاني :

هي قواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام مقتضي الحال حتى يكون وفق الغرض الذي سبق له فيه نحترز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد فتعرص السبب الذي يدعوا إلى التقديم والتأخير **والحذف والذكر والفصل والوصل ومنه نعرف مثلاً :**

1. أن العرب توجز أذا شكرت أو اعتذرت .
2. إن العرب تنطبق أذا مدحت .

3. أن الجملة الاسمية تأتي لإفادة الثبات بمقتضى المقام أول من بسط قواعده الإمام عبد القادر الجرجاني المتوفي سنة أربعمائة وسبعون هجرية فهو الذي هذب قواعده وقد وضع الأئمة قبله كالجاحظ و أبي هلال العسكري إلا أنهم لم يوقفوا إلى مثل ما وقف إليه عبد القادر الجرجاني

ومن أهم فائدته :

1-الوقوف على أسرار البلاغة في منثور الكلام ومنظومة فيحتز حذوهما وتعرف السر في افتخار النبي (ص) بقوله : (أنا افصح من نطق بالضاد) وقوله : (أوتيت جوامع الكلم وأختصر لي الكلام اختصاراً) وتفهم وجهه تعجب الصحابة من فصاحته عليه السلام فقد روىإن أبابكر رضي الله عنه قال له : ما بالك يارسول الله ؟ افصحنا ولم تخرج بين أظهرنا .

2-معرفة وجه أجاز القران من وجهه ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب ، وما أشتمل عليه من عذوبة وجزاله وسهولة وسلالة ، فتتصنع ببلاغته وتدرك السر في فصاحته وكيف كانت معجزة خالد عن وجه الدهر لا يبليها كر الجديدين ولا مرور الملوبين .

3-وقد رتب الكلام في هذا الفن على أثني عشر باباً منها الحذف .

يتضمن هذا المبحث أربعة مباحث :

المبحث الأول : في مزايا الحذف وشروطه :

من دقائق اللغة : وعجيب سرها ، وبديع أساليبها أنك ترى الجمال والروعة تتجلى في الكلام إذا أنت حذفت ركني الجملة أو شيئاً من متعلقاتها أما في دلائل الاعجاز وصف أنه باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر ، شبيه بالسحر فأنك ترى به ترك الذكر ، والصمت عن الإفادة .

ومن أهم شروط الحذف أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف :

علم البديع :

البديع لغة : الجديد المخترع لأعلى مثال :سابق ولا احترا متقدم تقول مثلاً بدع الشيء وابدعه فهو مبدع ، وفي التنزيل : (قل ما كنت بدعاً من الرسل) [1] .

واصطلاحا: علم تعريف به الوجوه والمزايا التي تكسب الكلام حسناً وقبولاً بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال التي بورد فيها ووضوح الدلالة على ما عرفت في العلمين السالفين ، واضعة : أول من وضع قواعد وأصوله عبد الله بن المعتز العباسي المتوفي سنة مئتان وأربعة وسبعون للهجرة فقد استقضى ما في الشعر من المحسنات وألف كتاباً ترجمه باسم البديع أحد ولا سبقني الى تأليفه مؤلف ومن رأي إضافة شيء من كتاباً سماه " نقز قدامه " ذكر فيه ثلاثة عشر نوعاً زيادة على ما أملاه بن المعتز .

أقسام المحسنات :

تنقسم المحسنات إلى قسمين :

محسنات معنوية :

و هي التي يكون التحسن بها رابها للى المعنى ، أولاً وبالذات لإن كان بعضها قد يغير تحسين اللفظ ايضاً كالطابق بين يسر ويعلن في قوله : (يعلم ما يسرون ، وما يعلنون) وعلامتها انه لو غير اللفظ بما يرادفه فقيل مثله ، ويعلم ما يخضون وما يظهرون لم يتغير المحسن المذكور .

محسنات لفظية :

هي التي يكون التحسين بها راجعاً إلى اللفظ لمالة لإن حسنت المعن لحياناً تبعاً كالجناس في قوله تعالى : (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) [2].فالساعة الأولى يوم

---

[1]/ سوره الاحقاف الآية (9) .
[2]/ سورة الروم الآية (55) .

القيامة والساعة الثانية واحدة الساعات الزمنية وعلامتها أنه لو غير اللفظ الثاني إلى ما يرادفه زال ذلك المحسن ، فلو قيل :ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا الا قليلاً لضاع ذلك الحسن .

المحسنات المعنوية كثيرة ، ومن أشهر المحسنات المعنوية الأرصاد –والتسهيم– الموازنة ، فالأرصاد لفة (نصب الرقيب في الطريق والتسهيم جعل البرد ذا خطوط كأنها فيه سهام واصطلاح ان يجعل قبل اخره الفقرة أو البيت ما يفهمها عند معرفة الروي : كقوله تعالى : (لِكَجَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ)[1]

وقول البحتري :

تَدَمي رَسْمٍ ، وَحرّمتْ *** ، يومَ اللّقَـ ، كَلامي

لَيْ الّـــــحَلّتِ لَّحَلٍّ ، *** يٌـ الّي حَـحَرَامِ

فالسامع اذا وقف على قوله تعالى : (وهل يجازي ، بعد الإحاطة بما تقدم علم أنه ليس إلا كفوراً) والحاذق بمعاني الشعر وتأليفه يعلم بعد أن عرف البيت الأول وصدر الثاني في بيتي البحتري أن عجزه إلا ما قاله .

الموازنة :

هي أن تكون الفاصلتان متساويتين في الوزن دون التقضية كقوله تعالى : (ونمارق مصفوفة – وزرابي مبثوثة) فأن كان ما في إحدى القريتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن خص باسم المماثلة .

فالأول كقول البحتري يمدح الفتح بن خاقان ويذكر مبارزته للأسد :

فأحجَمَ لَمّا لَمْ يَجدْ فيكَ أَقدمَطَمَعاً&& يجدْ عَنكَ مَهرَبَا

وقول أبي تمام في قصيدة يمدح بها الوزير محمد بن عبد الملك الزيات :

[1]/ سورة سباء الآية (7) .

مها الوحشُ إلاَّ أنَّ هاتا أوانِسُ *قَنَا*الخَطّ إلا أن تلك ذوابِلُ

هكذا نجد أن أحمد مصطفى المراغي لخص كتابه بفوائد من البلاغة منها قول عبد الله فكري

ينصح ابنه:

إِذَا نَامَ غِرٌّ فِي دُجَى اللَّيْلِ فَأَسْعَى&&&وَالْعَوَالِيْ وَشَمِّرِ

وسارِعْ لِلَي مادَمْتَ مادُمتَّ قادِراً &*&علَيهْ وأَلِمَّ بِنُصْرِ النجح فأصبر

كثيراً مِنَ الأمورِ فانكَ تُصابَ &&&وتجد مَلاحاً أو تخطيالرأي تَعزز

وقال محمد بن الطيب في وصف الربيع:

ورِ بَهجَتِهِ، ونَـ وُرُودِهِ	ـدَ الرَّبيعُ، فمرحَبـً بـرُودِهِ،
أنيقِ ملبسهِ ووشي بـرودهِ	ـُسنِ مَنظَـرِهِ وطيبِ سيمِهِ،
ـْ يَدا كانونَ في تَجرِيدِهِ	لغصنُ قد كُسِـ الغَلائلَ، بعدَما
اءُ الشبيبةِ في منابتِ عودهِ	الصِّبَا بعدَ المَشيبِ، وقد جَرَى

وضع هذا الكتاب في التسعة من شوال سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية بالخرطوم حاضرة الديار السودانية.

الخاتمـــة :

تناولت في هذا المبحث ما مرت به البلاغة من أطوار متباينة وتنقلت في عصور مختلفة قبل أن يتاح للاستغلالها المميز وقمت بتقسيم البحث إلى أبواب وفصول ابتداء بمفهوم البلاغة لغة **واصطلاحا :**

وما ثارت به البلاغة من العصر الجاهلي وبعد ظهور الإسلام متضمناً تفسير الدرس البلاغي وأشارته في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته أمثال عباس .

من هذا لم يسرع التغير في عملية تدوين البلاغة في العصرين الجاهلي والإسلامي فقد بل انتقل إلى العصر الأموي والعباسي وبروز الحاجة إلى تركيز القواعد والأسس التي لم يكن العربي في حاجة إليها لأنه ربيت تلك البيئة السليمة اللسان الصحيحة النطق .

ثم انتقلتإلى الباب الثاني وتناولت قضايا البلاغة أهمها :

قضية اللفظ والمعنى هذه القضية من المعالم الكبرى في تاريخ النقد العربي ونادراً ما نجد كتاباً في النقد ألا وعرض لنا هذه القضية والتي **من أهم أسبابها :**

أولاً : عرقي تشبع فيه العرب بالألفاظ .

ثانياً : أدبي تعلق بسلطان الشعر القديم .

ثالثاً : ديني ارتبط بنشئه مسألة اعجاز القرآن .

اما الفصل الثاني وهي قضية الاعجاز القرآني للباقلاني لأنها كانت من أبرز قضايا البلاغة وذلك يرجع إلى وقوع خصوم الإسلام ومعارضيه ابان فكرة المد الهائل الذي أفرع الخصوم مما حتم عليهم أن يعرفوا كتاب الله الذي هو مادة العقيدة .

ثم اتجهتإلى نظرية النظم فقد حظيت بقبول واسع من الدراسات النقدية الحديثة فالمقارنون اصابوا من جانبـوا إخطاؤها من جانب أخر اصابوا لأن الأفكار التي تحتوي عليها النظرية تبدو متقدمة مقارنة بأفكار السابقين والسياق الطبيعي لنظرية النظم هو دراسة الإعجاز القرآني للدراسات النقدية داخل هذا السياق بدأت نظرية النظم وتطورت كل هذه الأعمال كانت تتناول القضايا البلاغية إلا أن هنالك الهامات تبشر بظهور قواعد علم طال انتظاره متمثلة في باب اعلام البلاغة في العصر الحديث .

بداية ذلك على الجارم ومصطفى امين وكتاب البلاغة الواضحة والذي اتجه فيه إلى الأدب رجاء ان يتجلى الطلاب فيه من محاسن العربية ويلمحوا ما في أساليبها من جمال وجلال متضمناَ أنواع الأساليب (أدبي ، خطابي ، علمي) مع بيان علم البيان والبديع والمعاني ثم انتقلت إلى أبي هلال العسكري الذي تبلورت عليه علوم البلاغة في كتابة الصناعتين في (الكتابة ، والشعر) لأنه أول كتاب يحمل في تبويبه وطريقة بحثه ملامح تباعده عن كتب النقاد ونقدية من كتب البلاغيين والذي تناول ما جاء عن الحكماء في تفسير البلاغة .

أما أحمد مصطفى المراغي تناول في كتابه مراتب البلاغة متضمناً (البيان ، البديع ، المعاني)

مع ذكر أمثلة وختم هذا بفوائد من البلاغة.

وأتمنـى من ـ الله ـ التوفيق ـ والسداد

الباحثون

المراجــع والمصـــادر :

1 / كتاب علوم البلاغة للمراغي.

2 / المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للراقي دار المعارف .

3 / جواهر الألفاظ .

4 / المعجم الوجين (ط1) دار التحرير للطباعة والنشر -لإبراهيم مذكور .

5 / علوم البلاغة للقرآني.

6 / من كتاب البلاغة تطور وتاريخ دكتور شوقي .

7/ الاتفاق في علوم القرآن جلال الدين السيوطي .

8/ البلاغة عند المفسرين ، حتى نهاية القرن الرابع الهجري (رابح دروب) دار الفجر للنشر والتوزيع ص 17 الطبعة الثانية

9 / الأتمان في علوم القرآن ص 187 جلال الدين السيوطي .

10/ رابح دورب ، البلاغة عند المفسرين

11/ البيان والتثبيت ص 13711 للجاحظ (عثمان عمرو بن بحر بن محجوب دار ومكتبة الهلال.

12/ من كتاب أسرار البلاغة الإمام عبد القاهر الجرجاني الطبعة الأولى .

13/ البلاغة عند المفسرين حتى (نهاية القرن الرابع الهجري (رابح دوب) دار الفجر للنشر .

14/ البلاغة الواضحة على الجارم ومصطفى أمين .

15/ أديب مشهور متصوف له كتاب يرعى اطباق الذهب عارض بها الزمخشري .

16/ كتاب الصناعتين في (الكتابة والشعر) تصنيف أبو هلا العسكري دار الفكر العزى .

17/ الجلدة المعلقة على آخر الرحل .